النمســا

- ليالى الأنس فى فيينا
- نسيمها من هوا الجنة
- نغم فى القلب له رنة
- سمعها الطير بكى وغنى
- م الألب للألب رسول
- وترى الجندول فى عرض القنال

ليالي الأنس .. فى فيينا

هل كانت المطربة أسمهان تقصد عاصمة النمسا بأغنيتها «ليالى الأنس فى فيينا» فالعالم به ثلاث مدن تحمل اسم فيينا واحدة فى فرنسا وتقع جنوب مدينة «ليون». والثانية فى الولايات المتحدة الأمريكية وبالتحديد فى ولاية فرجينيا الغربية، والثالثة العاصمة النمساوية.

وأتصور أن كاتب الأغنية المذكورة وهو شاعر الشباب أحمد رامى (١٨٩٢- ١٩٨١) قصد بالأغنية فيينا الفرنسية.. فقد تلقى فى فرنسا تعليمه كمبعوث من دار الكتب المصرية. ثم إن الأغنية ظهرت ضمن أحداث فيلم «غرام وانتقام» إخراج يوسف وهبى (١٨٩٧- ١٩٨٢) ولم يكن لكلماتها علاقة بالأحداث التى صورت فى نفس العام الذى رحلت فيه أسمهان (١٩١٠- ١٩٤٤) عن الدنيا بعد أن غنتها فى الفيلم.

وأحداث الفيلم كانت تتطلب مجرد أغنية مسرحية تؤديها نجمة فى الغناء لتعتزل الفن بعد ذلك.. لكن المؤلف اختار فيينا ليغنى لها وكان يمكنه أن يغنى لغيرها فيقول «ليالى الأنس فى فرنسا» أو فى أمريكا أو حتى فى شبرا.

على كل حال، أعلن رامى أن فيينا روضة من الجنة وتحولت هذه المعانى إلى «فولكلور» عربى. وأن «ليالى الأنس فى فيينا».. نسميها روضة من الجنة.. نغم فى القلب له رنة.. سمعها الطير بكى وغنى.

فلاحو.. أوربا !!

عشت فترة زمنية طويلة من عمرى فى فيينا وأزعم أننى أعرف شوارعها شارعا شارعا.. وأعرف سكانها «نفر نفر» وهم قليلون. فكل

سكان النمسا لا يزيد عددهم كثيرا على ثمانية ملايين نسمة. رغم أن بلادهم تصل مساحتها إلى ٨٣٨٥١ كيلومترا مربعا.

ويعرف عن النمساويين أنهم فلاحو أوربا، وأن علاقتهم بالشقيقة ألمانيا كعلاقة السودان بمصر، أو كندا بأمريكا. ولكن أهل النمسا محافظون على التقاليد الإنسانية العظيمة.. وأعرف فتيات نمساويات مثل فلقة القمر، ومتمسكات بفترة الخطوبة قبل الزواج ومحافظات على عذريتهن حتى ليلة الدخلة، وهى عادات انقرضت منذ زمن طويل خاصة فى المجتمعات الغربية والعلمانية.

كورير.. كرونا.. جمهورية !!

لم أشعر بارتباط عاطفى قوى لبلد خارج مصر أكثر مما أشعر به للنمسا، ومدينة فيينا بالذات. فأول غربة لى عن بلدى كانت فيها.. وأول طائرة أركبها كانت متجهة إليها. كان ذلك عام ١٩٧٤، وبعد حرب أكتوبر عندما فتحت أبواب مصر لشبابها ليرى العالم ويتساوى مع شباب بلاد الله كلها من يكافح، ويتعلم، ويعرف ويستمتع بطبيعة وجغرافية وخبرة شعوب العالم. وسافرت النمسا لأعمل وأتعلم. عملت كسائر شباب مصر الذين سبقونى إلى فيينا فى بيع الصحف.

وفيينا هى الدولة الوحيدة فى العالم التى تعتمد اعتمادا أساسيا فى بيع صحيفتيها «الكورير» و«الكرونا» على الاتصال المباشر بين إدارتى الصحيفتين والقراء فتعتمد فى ذلك على جحافل الشباب القادم إليها من كل دول العالم الثالث ومعظمهم لا يتمتعون بالإقامة الشرعية فى البلاد. ومنهم من جاء رسميا ضمن خطة للتعلم أو العمل الرسمى.. وبالنسبة لى لم يكن بين مصر والنمسا اتفاقيات عمل بل لم يكن بين الدولتين خط طيران مباشرا.

لدى وصولى إلى فيينا، اكتشفت أن النمسا مثل ألمانيا لا تحب اللغة الإنجليزية، وقليلون جدا من يتكلمون بها وبلهجة ألمانية «مكسرة» فقد استعرض سائق التاكسى بى شوارع فيينا بحثا عن عنوان «بيت الشباب» كتبته باللغة الإنجليزية نقلا عن بعض النشرات التى انتشرت فى ذلك الوقت لتحميس الشباب على السفر للخارج. ولم أر فى شوارع فيينا التاريخية الجميلة غير عداد التاكسى الذى التهم منى ضعف الفلوس التى خرجت بها من مصر وكانت حسب قوانين تلك الفترة عشرين جنيها استرلينياً بالتمام والكمال.

وكما فى ألمانيا معهد «جوته» لتعليم اللغة الألمانية لأبناء الدول العربية، يوجد فى النمسا معهد «همر» التحقت به بسرعة وكانت الدفعة مكونة من ٢٤ طالبا معظمهم من العاملين فى وزارات الخارجية العربية والذين جاءوا إلى النمسا ضمن البعثات الدبلوماسية الرسمية.. مقر المعهد فى «فيينا ١» أى فى الحى الأول وفيينا عدة أحياء تحمل أرقاما من ١ إلى ١٢ ولم يتخرج من هذه الدفعة إلا ثلاثة كنت واحدا منهم.

ولما طال بقائى فى فيينا بعد أن عزمت على الالتحاق بأكاديمية الموسيقى استكمالا لدراستى الموسيقية فى مصر اضطررت للانضمام إلى كتيبة بائعى «الكورير» و«الكورنا». وجاء حظى مع الجريدة الأولى وكل واحدة لها زى خاص عبارة عن جاكيت مطبوع عليه اسم الجريدة ولونها المميز. يذهب الشاب إلى مقر الجريدة مرتين يوميا الأولى فى السادسة صباحا ليتسلم نصيبه من الصحف الذى يحدد كميته اسم الناحية التى سوف يقف عليها ومدى شعبية الجريدة فيها. والفترة الثانية فى الخامسة مساء والفترتان تنتهيان فى الحادية عشرة صباحا ومساء.

ويمكن للشاب إذا أراد أن يأخذ «لَوْفا» يعنى دورد على قهاوى فيينا بدلا من الوقوف على الناصية. ويمكن أن تكون «اللوفا» فى المدن القريبة

من فيينا إذا كان قد مرت على إقامته فى الدولة فترة واستطاع قيادة سيارة ليسافر بها.

تعلمت فى النمسا وعملت فى بيع الصحف وفى مغسلة أوتوماتيكية تخصصت فى غسل ملاءات المستشفيات والفنادق. وأخذنى الحنين إلى أهلى وفنى وإلى بلدى فعدت وعلى جواز سفرى أكثر من ستة شهور إقامة مسموح بها فى النمسا وشعرت أن نداء «أخبار.. أهرام.. جمهورية .. أكتوبر» ابقى من نداء «كورير.. وكرونا.. جمهورية».

هذه فيينا مدينة الأنس عند أحمد رامى، ومدينة ذكريات شبابى الأول أعود إليها وقد أصبحت جزءاً من الاتحاد الأوربى تتكلم الإنجليزية مع لغتها الألمانية «الفلاحى» ومبانيها الباروكية، وشوارعها كالمتاحف المفتوحة.

مدينة باروكية جدا

والباروك هى الفترة ما بين عامى ١٦٠٠ و١٧٥٠ فى أوربا وتتميز بالضخامة والزخرفة المبالغ فيها وتميزت فيها فنون العمارة وفنون التصوير والنحت والأدب والفكر.. أما الموسيقى فقد ظهرت فيها قوالب الأوبرا، والأعمال الأوركسترالية ومؤلفات البيانو والآلات ذات لوحات المفاتيح والتى تطور عنها البيانو، وأعمال موسيقى الحجرة، وازدهرت الموسيقى الدينية والدنيوية، كما بنيت الكنائس الشامخة المتقنة المزخرفة بالتماثيل الضخمة المعبرة. فقد اعتمدت فنون العمارة والتصوير والنحت فى عصر الباروك على المساحات الكبيرة وعلى الضخامة والزخرفة التفصيلية. بشكل يشعر الإنسان أمامه بالرهبة والذهول من فرط الإبهار.

شهدت فترة الباروك حركة فكرية فى الأدب والفكر تسمى «العقلانية والتنوير» بسبب انتشار الفكر العلمى فى القرن السابع عشر وتحكيم العقل

فى كل ما هو اجتماعى أو دينى أو سياسى. وفيه ارتبطت الموسيقى والغناء وسائر الفنون الأخرى بالطقوس الدينية فى الكنيسة وأدى ذلك إلى تطوير فنون الموسيقى الدينية وقوالبها، وكانت عيون المصلين تربط بين فنون الباروك المعمارية الممثلة فى الكنائس والرسوم المبهرة التى تغطى سقوفها والأعمدة الضخمة المطرزة واللحن الدينى وتعبيره. وقد استخدموا أعظم المثالين والرسامين والمعماريين والموسيقيين على السواء.

هكذا تبدو فيينا فى شوارعها وثقافتها ومهرجاناتها وملامحها السياحية والاجتماعية، ويشاركها فى ذلك كل دول غرب أوربا من فرنسا إلى ألمانيا إلى إيطاليا والمجر وغيرها.

قهاوى .. تركية

استعمر الأمبراطور هابسبرج النمسا وجعل من مدينة فيينا عاصمة لإمبراطوريته التى جمعت النمسا مع جارتها المجر؛ وبنى قصرا.. عظيما، هو قصر «شونبرن» Schonbrunn المقر الصيفى لأسرته. وهو مزار سياحى بارز فى المدينة للفرجة على مبناه الضخم والاستمتاع بالعروض التى تقدمها أوبرا فيينا على مسرحه فى مهرجانها السنوى. وقد استقلت النمسا بعد إعدام هابسبرج عام ١٩١٨، لكنها دخلت الحرب العالمية إلى جانب ألمانيا، وفقدت فيها أعدادا هائلة من شبابها. مما أجبرها على فتح حدودها لشباب العالم، وتشجيع الزواج حتى ولو كان من أجانب، وتشجيع النسل للنمساويين بتخصيص مبالغ ضخمة لكل حفل عيد ميلاد مع رعاية الدولة منذ ميلاده بالمجان.

وفى فترة الباروك فى أوربا كانت النمسا دولة مستعمرة من الدولة العثمانية التى استعمرت المجر أيضا منذ عام ١٥٢٩ وفى هذه الفترة

وبالتحديد عام ١٦٨٣ افتتحت السلطات التركية أول قهوة فى مدينة فيينا لتكون الأولى من نوعها فى منطقة غرب أوربا كلها، وانتشرت القهاوى حتى أصبحت ملمحا من ملامح المدينة ومن أشهرها سلسلة قهاوى تحمل اسم الموسيقار النمساوى العظيم يوهان شتراوس (١٨٢٥– ١٨٩٩) مؤلف الفالس العالمى الشهير «الدانوب الأزرق» وفالس «قصص من غابات فيينا» وهو أشهر «فالسجى» فى العالم أى من كتب موسيقى على إيقاع «الفالس». الشهير. وقد ظهر اسمه على سلسلة القهاوى منذ القرن التاسع عشر، فقد كان يكتب أعماله فيها، ويحافظ على أن يكون عرضها الأول فيها أيضا. وقد انتقلت ظاهرة عروض الأعمال الفنية إلى باقى القهاوى فى النمسا وفى المجر حيث يتجمع أهل الفن ومحبو الموسيقى فى قهوة بجوار أكاديمية الموسيقار المجرى ليست. وبالقرب من مبنى أوبرا بودابيست.

ويعتبر شارع «ماريا هلفا» أبرز شوارع وسط مدينة فيينا وفيه تجمع للقهاوى المتجاورة لخدمة المتسوقين والسياح. وتقدم فيها أنواع الشاى والقهوة والحلوى النمساوية وهى متميزة وقد تناولت فيها قطعة من التورتة وكانت حراقة السعر لكن مذاقها أعلى مما يصنع فى الشرق والغرب.

أحسن ديزنى لاند فى العالم

وملاهى فيينا من أبرز ملامح المدينة مثلها مثل القهاوى وحوانيت النبيذ أنشأها وبناها المهندس الإنجليزى والتر باست عام ١٨٩٧ وبنى مثلها فى بلده وفى فرنسا إلا أن ملاهى النمسا لها وضع خاص فى عيون النمساويين وزوارهم من السائحين فالهدية التى يحملها المسافر من فيينا هى دائما ماكيت أو صورة مجسمة صغيرة من ملاهى فيينا وبالتحديد «المرجيحة» التى ترى بوضوح فى سماء فيينا من كل اتجاه خاصة أن

جميع البيوت محددة بارتفاع واحد لا يزيد على ثلاثة طوابق، وهو الشكل الباروكى الأوربى. استمر بناء مدينة ملاهى فيينا ثمانية شهور وترتفع مرجيحتها المميزة إلى ٦١ مترا فى سماء المدينة، وهى تزن ٤٣٠ طنا وللمدينة برج عال يرتفع إلى ٢٠٠ متر وفيها قطار أو «طفطف» يستعرض مكوناتها أمام الزبائن فيما يقرب من ثلاثة أرباع الساعة رغم أنه لا يقطع إلا كيلو مترين فقط. وبها عربات يجرها البغال للفرجة. وفيها متحف ومعرض وقهاوى وبوفيهات وعصير الفاكهة تقدمه ماكينات أتوماتيكية باستعمال اليورو الأوربى.

ويعتز النمساويون بأن ملاهى بلدهم قد ظهرت فى العديد من الأفلام العالمية ومنها فيلما «الرجل الثانى» و«جيمس بوند الحياة المبهجة..» وربما كانت ملاهى فيينا لا تزيد على مولد سيدنا الحسين أو السيدة نفيسة مكان للغناء الشعبى وآخر للرماية وريني القوة يا بنى أنت وهوه.. مين عنده مروة.. يقدر بإدارة على زق الطارة.. ويفرقع بمبة؟!. لكن النمساويين يرونها أجمل من ديزنى لاند فلوريدا، وكاليفورنيا، فرنسا واليابان، إنها فى النمسا رمز للمدينة القديمة ومحاولة لجذب السائحين مع أن معظمهم يذهب إلى فيينا من أجل التزحلق على جبالها العملاقة. لكن منهم من يذهب إليها لأن «ليالى الأنس.. فى فيينا».

نسيمها من هوا الجنة

يا سلام!!.. على الجوز الخيل، والعربية، أنغامهم كلها حنيةً..

فالعربية حنطور واسع يستوعب صالونه أسرة مكونة من أربعة أفراد.. والجوز الخيل لونهما بنى أو أبيض.. وفى الحالتين لهما بريق ولمعان يدل على نظافة دائمة ومستمرة.. أصواتهما على أرض شوارع فيينا كآلات إيقاعية، آخر نغم حية نشيطة، أسرع من الإيقاع الصعيدى الذى يرقص عليه ابن الخال فى الجرن بمناسبة أو بغير مناسبة، أما العربجى النمساوى فقل عليه أو عليها «مانكان» أو أحد نبلاء العصور الوسطى فلا يمكن أن يتخلى عن «السموكن» الأسود والقبعة، والجوانتى الأبيض كأنه ذاهب إلى دار أوبرا فيينا أشهر دار أوبرا فى العالم، وأكثرها تمسكا بالتقاليد الأوبرالية من حيث الضبط والربط وإعلان برنامجها لمدة عام قادم على الأقل. ويتم الالتزام به .. بدون غلطة!

وجمال الحنطور، ورشاقته تعيد إلى ذهنك كلاسيكيات الزمن الفائت، وحلاوته، وتنسيك الرائحة غير الطيبة والتى يخلفها الجوز الخيل فى شوارع فيينا خاصة فى أماكن تجمعها انتظاراً للزبائن..

يحمل الحنطور السياح ليستعرض لهم شوارع فيينا مقابل ٣٥ يورو أو ٣٠ دولارا أمريكيا ويجرى فى ثقة وثبات لا يهاب مزاحمة الـ «شتات باص» أى أتوبيس المدينة وهى مفصلى أو الـ «شتات بان» مترو الانفاق.. ولا حتى قطار فيينا بألوانه الصفراء أو الخضراء البديعة، الذى صمم عام ١٨٩٧ ليكون قادرا على رحلة صعبة تبدأ من وسط فيينا إلى

جبالها الخضراء صيفا، بيضاء شتاء، والتى يبلغ ارتفاعها ٢٠٧٥ مترا، وفيها تنسى متاعبك وتنسى نفسك، وكل شيء حواليك.

مهرجانات فيينا الموسيقية

والمدينة مبهرة ليست بمبانيها الباروكيه فقط، إنما بثقافتها، وهى تعتز بذلك وتعتبر شهور الصيف (يونية ويوليو وأغسطس) فرصة لتقديم تراثها من الفن والموسيقى لوفود السياح الذين يجيئون إليها بالآلاف كل صيف، فالنمسا تعتبر السياحة دخلها الأكبر وهمها الأول.

ومهرجانات فيينا كثيرة ومنوعة، أشهرها المهرجان الموسيقى الذى يحمل اسمها ويقام فى شهر يونية كل عام، ويلتقى فيه الموسيقيون والجمهور من محبى الموسيقى فى العالم، وتطرح فيه الأسئلة وتتفاعل الأحاسيس، وترتبط السياحة بالفكر والثقافة لتكون سياحة ذات مذاق خاص لا تكون إلا فى النمسا..

أول مهرجان أقيم فى فيينا كان عام ١٩٥١ وكانت قوى الحلفاء الأربع تحتل المدينة. وكانت دار الأوبرا الشهيرة وكثير من دور العرض المسرحى مهدمة من آثار الحرب العالمية الثانية. فى هذا المهرجان ظهرت لأول مرة فكرة تقديم مجموعة من الحفلات تربط بينها فكرة واحدة مثل حفلات «المؤلفين المعاصرين» أو مجموعة «أوبرات فاجنر» أو مجموعة «حفلات ماهلر».

وفى مهرجانات فيينا للموسيقى من كل عام تقام عروض على مسرح فيينا التاريخى، الذى شهد العرض الأول لأوبرا «فيديليو» لبتهوفن (١٧٧٠- ١٨٢١) وأعمال فاجنر التى انتقاها من أوبراته فهو مسرح تعيش فيه التاريخ بأمجاده وتنتمى إلى الحضارة الإنسانية الحية.

وفى مهرجان فيينا الموسيقى يقام حوار يعرف بالحوار الأوروبى حول القضايا العالمية المهمة وتتعلق بالفنون والآداب، وتناقش ما وصلت إليه الإنسانية من تقدم وما يرجوه المفكرون لمستقبل البشر من رفاهية. وينتهز ضيوف هذا المهرجان الفرصة لزيارة البيوت التى كان يسكنها عظماء الموسيقيين فى فيينا مثل بيت موتسارت وتعرف منزل فيجارو وهو اسم بطل واحدة من أشهر أوبرتاته وتقع فى «فيينا ١» حارة دوم ومكان ميلاد شوبرت فى «فيينا ١١» والمنزل الذى كان شوبرت يكتب فيه موسيقاه فى «فيينا ٤» وشقة يوهان اشتراوس أشهر «فالسجى» فى العالم وتقع فى شارع الملاهى فى «فيينا ٢» النصب التذكارى للموسيقار الألمانى لودفج فان بتهوفن فى «فيينا ٢ » ومتحف الموسيقار جوزيف هايدن فى فيينا والمنزل الذى عاش فيه ويحوى بعض النوت الأصلية لأعماله وبعض الآلات التى كان يستخدمها وبعض المتعلقات الخاصة به.

أما مهرجان محافظة بيرجن للموسيقى فيجمع بين جمال الفن وسحر الطبيعة، تدور وقائعه على بحيرة «كونستاتر» ويبنى له مسرح عائم على مياه البحيرة هو الأكبر والأعظم من حيث نظام الهندسة الإذاعية فتسمع فيه وكأنك فى استوديو للتسجيل الموسيقى ويشارك فيه أوركسترا فيينا السمفونى وفرقتا الأوبرا والباليه بها.

والمهرجان قريب من قصر استرهازى التاريخى فى هذه المحافظة القريبة من فيينا ويعتبر من قصور الضيافة المهمة منها ويرجع تاريخه إلى أيام إمبراطورية هابسبرج. ويعطى صورة لما كانت عليه الحياة عن العائلات الأرستقراطية التى كانت تعيش فيه وهو جزء من التاريخ السياسى الاجتماعى لإقليم قلب أوروبا.

كما يعطى أيضاً صورة لتقاليد العمل الموسيقى فى التأليف والعزف والاستماع، كان الموسيقار جوزيف هادين يكتب أعماله فيه، ومازالت

تعزف موسيقاه فى نفس الغرف التى كان يعيش فيها أثناء كتابته الموسيقى التى شهدت العروض الأولى لأعماله، وبنفس التقاليد التى أرساها قصر إسترهازى وهى العزف فى حفلات مسائية «ماتينيه».

وفى شهور الصيف يقام فى فيينا مهرجان للأوبرا تقدم بعض عروضه على مسرح قصر «شونبرن» ومهرجان لفن «الأوبريت» يقام على مسرح مفتوح فى الهواء الطلق هو الأكبر من نوعه على مستوى أوروبا، ومكانه فى قرية «هوربسن» على شاطئ بحيرة «نيوسل» التى تبعد ٦٠ ميلا عن جنوب شرق فيينا.

كذلك تقيم فيينا مهرجانا سنويا لموسيقى الجاز تستضيف خلاله نجوم هذا الفن من العازفين والفرق فى العالم كله، كما يقام مهرجان آخر لموسيقى الجاز، مدته ثلاثة أيام فقط، وذلك على جزيرة الدانوب تعزف فيه الموسيقى وتقدم الألعاب والرياضيات وهو فرصة لتقديم المعلومات المطلوبة عن فيينا وشاطئ الدانوب.

وفى النمسا أكاديمية للفنون الرفيعة تدرس فن الثلاثمائة عام الماضية إلى جانب كل الفنون المعاصرة.

كما أن لها نشاطا مسرحيا وسينمائيا أيضاً رغم صعوبة انتشار هذه الفنون خارج المنطقة الناطقة بالألمانية. أى فى ألمانيا والنمسا فهم يتمسكون بهويتهم فى اللغة وتراثهم فى الإبداع، فيقيمون فى شهر يونية مهرجانا لأفلام الأوبرا وقد شاهدت جانبا من عروضه وأقيمت فى ذكرى مرور مائة عام على وفاة الموسيقار فيردى.

وفى فيينا المسرح بكل ألوانه المسرح الشعبى الذى يعرض مسرحيات كوميدية وأخرى تراجيدية منها الكلاسيكى ومنها الحديث.. وهذا المسرح

خصص لجمهور الطبقة المتوسطة وله صالة فخمة تعد من أجمل صالات المسارح الأوروبية.

وفي فيينا مسرح كوميدى متخصص يعرض مسرحيات يقوم ببطولتها نجوم نمساويون مشهورون.. وهو مسرح تقليدى يرجع تاريخه إلى حوالى ٢٥ سنة.

ألعاب عالم أنثروبولوجى

قصر شونبرن دائماً زحام يتجه إليه الأهالى والسائحون، من هذا الزحام ٢٠٠ ألف نفس تلتف يومياً حول ألعاب الدكتور هوجو كوكل العالم الانثروبولوجى الذى يدعوهم ليتعلموا كيف يشعروا ويحسوا ويفسروا ما يأتون به من حركات أى كيف يسمعون وكيف يلمسون الأشياء إنه مسرح يقوم فيه المتفرج بدور البطولة، ولا أعتقد أننى شاهدت فى أى دولة فى العالم مثل هذا السحر أو الفن، حتى فى أمريكا التى يلعب بعض الفنانين فيها بالبيضة والحجر.

يقول هوجو كوكل إنه يحاول أن يدخل الناس إلى عالم الأحاسيس ويفسرون بأنفسهم الظواهر الحسية التى يعيشونها ويمارسونها فى حياتهم العادية. فهو على مدى ٤٥ دقيقة مدة الفرجة أو العرض العلمى أو المعملى يعلم الزائر كيف ترى العين. وكيف يشم الأنف، وكيف يلمس الإصبع ويشعر بالجلد وكيف يقرأ المخ.. وكيف.. وكيف.. فيجعل الزائر يرى الألوان فى شىء لالون له. ويتابع الماء وهو عكس المعروف عنه يطلع فى العالى، وإذا رقدت تحت ١٧٠ كيلو جراما من الجرانيت كيف تستشعر بذبذبة الصخر، أى أنك لو هززت عامود الجرانيت فوق صدرك سوف تستشعر ذبذبة صادرة عنه وتلمسها بيدك ثم يعرض عليك تجربة تتعامل

معها بأنفك، فأمامك أخشاب من أكثر من شجرة، هل يمكن أن تميز رائحة كل منها؟.. وكيف تكتشف سر الضوء.. والخيال.. ولو لمس وتر آلة كمان حافة للوح معدنى مسطح، لماذا يصدر عنه صوت راقص..

تراث العالم فى التشكيل

إنها تجربة جديدة لا ينقصها التسويق لكنها غريبة على الواقع النمساوى الرومانسى الذى يعتز بثقافته الموسيقية الكلاسيكية، وبمتاحفه المنوعة التى تختزن أعز ما خلفه الإنسان عبر مسيرته الطويلة، ففى أكاديمية فيينا للفنون الرفيعة خليط من أعمال الرسامين والنحاتين على مدى ٣٠٠ سنة ولوحات للرسامين الألمان من القرن السابع عشر، وللفنانين الإيطاليين فى نفس الفترة، وفيها نماذج نادرة للوحات رسمت على الكانافاه لفيوجر وفالدمولر، كما أن أكاديمية فيينا للفنون الرفيعة أعمال لفنانى أوروبا كلها من القرن الثامن عشر إلى بداية القرن العشرين.

أما الفنان السريالى سلفادور دالى (٤٣ - ١٩٨٤) فقد خصصوا لأعماله معرضا دائماً تعرض فيه أعماله الأصلية الموقعة منه والتى تظهر أسلوبه السريالى وهو من أكبر المعارض المتخصصة فى فن دالى فى العالم.

ومحبو الفن التشكيلى فى العالم يختارون مدينة فيينا خصيصا لزيارة «قصر التحف» فيها.. وقد أسسه الإمبراطور جوزيف الأول ١٧٠٧ ويحتوى كثيرا من التحف الفنية القديمة والمعاصرة.. وبه أيضاً انتيكات قيمة وبعض المجوهرات ذات التاريخ. وديكور وبعض أنواع الماس النادر والمخطوطات والعملة وطوابع البريد وأسلحة قديمة وزجاج وفازت وأنواع من البورسالين.

وفى قلب المدينة توجد قلعة «مودلنج».. التى يعتبرها المبدعون فى الموسيقى مكانا أساسيا لابداعاتهم.. ومنهم فرانزشوبرت وريتشارد فاجبر وقد كتبا بعض أعمالهم الخالدة فى هذه القلعة كما زارها يوهان اشتراوس وجاء إليها بتهوفن يطلب التزود بقوة تمكنه من الانطلاق.

كذلك كان التشكيليون يحرصون على الإقامة فيها بغية الإلهام والإبداع، من هؤلاء يوهان نستروى وايجون شيلا، وجوستاف كلمت وأوسكار كوكشكا.

ومازالت قلعة «مودلنج» قلب الثقافة المعاصرة وبيت المبدعين النمساويين.

ما اكثر المتاحف النمساوية فى فيينا فمن متحف لساعات الحائط، إلى متحف للموضة ، ومتحف للملاهى، والمتحف الرومانى، ومتحف تاريخ المدنية، وفيه تجميع لكل ما كانت تحتويه عدة متاحف فى فيينا.

غير المتاحف التى تحمل اسم كبار موسيقيى العالم الأوروبيين أمثال برامز، موتسارت، شوبرت، اشتراوس، بتهوفن، هايدن.

الخضرة والماء والوجه الحسن

والوجوه النمساوية جميلة، مريحة تتمتع بقبول حسن شقراء والعيون خضراء وبلادهم من الخضرة بالهكتار وبالتحديد ٢٤٥٠ هكتارا للزراعة والصيد وفيها حيوانات نادرة و ١٣ نوعا من الطيور غير الموجودة فى أوروبا كلها، أما عن الماء ففيها أكبر بحيرة تحت الأرض فى أوروبا كونها انفجار فى أحد المناجم قذف ٢ مليون لتر ماء فى ساحة المنجم وأنفاقه مكونة بحيرة كبيرة، وقد اكتشفه فريق من العلماء فى الثلاثينات من القرن العشرين وفتحوه أمام السائحين وأهل البلد.

أما الماء الأزرق بلون السماء فهو ماء نهر الدانوب الذى يمتد من ألمانيا إلى النمسا فالمجر ثم سلوفاكيا ثم الصرب فمنغوليا وينتهى فى رومانيا، فإذا أسعدك الحظ بجولة دانوبية فى يخت أو لانش أو «فيرى» فسوف تسعد برؤية برج الدانوب، ومبانى هيئة الأمم المتحدة فى النمسا، وغابات فيينا، ومتحف الفن العالمى، وتشم نسيم فيينا ونسيمها من هوا الجنة.

نغم.. فى القلب له رنة

صحيح أن مدينة سالزبورج، عالمية، ومبهرة بمبانيها وحدائقها الباروكية، وكنائسها، وتقاليدها، لكن من المؤكد أن كونها المدينة التى ولد وعاش ومات فيها الموسيقار العظيم موتسارت (١٧٥٦- ١٧٩١) قد أكسبها قيمة عالمية غير عادية. وأضاف إلى أهميتها قدرا كبيرا من الجاذبية وأعلى من قدرها عند السائحين المحبين للموسيقى الرفيعة من العالم كله.

فى قلب المدينة القديمة حارة هى حارة سيجموند هافز وهى متقاطعة مع أشهر حارة فى سالزبورج القديمة والجديدة، وربما فى النمسا كلها إنها حارة «جترايد» أى «القمح». كانت حارة سيجموند هافز أشهر حارات القرن الثامن عشر، إنها «شق ثعبان» فهى ضيقة جدا، على الرصيف الصغير ترى دار الشورى من بعيد، وبرج الساعة الخاصة بالدار، وإذا نزلت إلى عرض الطريق سوف تكون ضحية زحام البشر الذين جاءوا من بلاد الدنيا، وربما قذف بك جوز خيل واسمهما هنا «درو شكن» يجران حنطورا يحمل سائحا أو أكثر.

أما حارة «القمح» فهى أجمل أماكن سالزبورج. فيها كل السلع من كل دول العالم بأسعار حراقة، ومع ذلك الناس يشترون التذكار من الحارة التاريخية، التى أنجبت موسيقارا، سحر العالم غربه وشرقه بموسيقاه، إنه فولفجانج أماديوس موتسارت الذى يقف أمام بيته فى كل يوم وفود السائحين من كل دول العالم فى احتفال يومى اعترافا بعبقريته. وينتهز فنانو الشارع النمساويون الفرصة ليقدموا إبداعاتهم فى اللعب بالعرائس «الماريونيت» والرسم على الأسفلت، والعزف على الجيتار وآمالهم أن

يسمعوا صوت العملة تون فى قاع العلبة التى وضعوها بجوارهم، وتصفيقة أمّلل.. تشجيعة أمّلل. والجدع يشجّع الجدع!!

ولد عفريت..!

والد موتسارت، اسمه ليوبولد موتسارت، وكان موسيقيا شهيرا بمؤلفاته، وبأسلوبه فى العزف على آلة الفيولينه التى انتشرت فى أوروبا بأكملها، اكتشف موهبة ابنه فولفانج وهو فى سن الرابعة، فتعهده بالرعاية، ثم استغله، وقسى عليه فى التدريبات ليجنى من ورائه المال الذى كان يتمناه ولم يحققه بعزفه ومؤلفاته. وذلك هو ما حدث أيضا بالنسبة للموسيقار الألمانى بتهوفن. لكن موتسارت كان «ولد عفريت» ساق الهبل على الشيطنة فإذا دخلت عليه قطة مثلا ساب مدرسته ورمى كراسته وراح جر شكلها، مع إن واجب العزف على آلة الهاربسيكورد صعب ولا واجب طالب فى مدرسة الخديوية الثانوية، كان موتسارت يجرى أحيانا فى الغرفة وبين رجليه عصا يتصور أنها حصانا، كما كنا نفعل فى طفولتنا الريفية وكان يقف على رأسه مرة، وعلى يديه مرات!!

أخت فولفجانج اسمها أنّا ماريّا، وهى أكبر منه بأربع سنوات ونصف، كانت تغنى، وتعزف على الهاربسيكورد ولما قرر ليوبولد أن يبدأ جولة أوربية يعرض فيها موهبة ابنه الصغير، كانت ماريا فى رجليهما، لكنها لم تفز بالإعجاب الذى كان يفوز به شقيقاها. وفى جولة ثانية كان موتسارت قد بلغ سن السادسة عزف الطفل العبقرى فى ميونيخ وفيينا وعزف أمام الإمبراطورة الأرشيدوكات من أسرة الهابسبرج وقلاضيشهم، وكانوا جميعهم يدللون الصبى ويقبّلونه أما هو فكان أمله هو اللعب مع أطفالهم. قدم موتسارت وماريا حفلات فى المدن التى مروا بها أثناء سفرهم

إلى باريس وهناك نشر أربعة أعمال من تأليفه من قالب السوناته، للبيانو، والفيولينه، وزار قصر فرساى فى باريس، ودعاه الملك لويس الخامس مع أسرته لتناول العشاء معه، وعاشوا ١٥ شهرا فى لندن، عزف خلالها موتسارت أمام الملك جورج الثالث والملكة تشارلوت، وعادا إلى سالزبورج ثم حقق نجاحا هائلا ١٧٦٩ فى إيطاليا، فأطلقوا عليه اسم «أماديوس» أى المحبوب. وضموه عضوا بأكاديمية الفيلهارمونى ولم يزد عمره على ١٤ سنة. وكتب أوبرا عام ١٧٦٩ فى مدينة ميلانو الإيطالية مع أنها بلد الأوبرا يعنى باع المية فى حارة السقايين. عيّنه أسقف سالزبورج فى وظيفة موسيقية فى البلاط ولما مات الأسقف، وتولى غيره، طرده، فبدأ الكشف عن عبقريته وظهر أسلوبه السيمفونى فى ثلاث سيمفونيات.

قام موتسارت بجولة أوربية أخرى، رافقته فيها أمه لأن أسقف سالزبورج رفض السماح لوالده بالسفر، وزادت الإساءة إليه من أسقف سالزبورج فاستقال من عمله فكان أول موسيقى فى التاريخ يتحرر من خدمة القصور، ليعيش من فنه، والتدريس، ومن مؤلفاته.. ثم تأتى الرياح بما لا تشتهى السفن، فقد بلى بفقر، زاد مع زواجه، ومع الزمن استطاع أن يقهر الفقر ولكن قهرته زوجته فكانت تهينه بصفة دائمة.. لحن موتسارت أوبرات «اختطاف من السراى» ، «زواج فيجارو» ، «الناى السحرى» و«دون جيوفانى» وغيرها. وكتب السيمفونيات ٣٩، ٤٠، ٤١. وكتب قداس جنائزى، ثم توفى يوم ٥ ديسمبر ١٧٩١.

محل الميلاد

صنع موتسارت التاريخ، وأدخل والده ووالدته وأخته إليه. وتسابق الرسامون فى تخيل صورهم جميعا، ليزينوا بها حوائط المنزل الذى ولد فيه فى حارة القمح بسالزبورج وقد أصبح أهم مزارات المدينة التاريخية الرائعة.

يتدافع السائحون إلى منزل موتسارت، الأول المنزل الذى ولد فيه والثانى الذى عاش ومات فيه، وهما قريبان، رغم أن الأول يقع فى شارع القمح بالمدينة القديمة، والثانى فى الجديدة، ويفصلهما نهر «سالتسخ» أى نهر «الملح» وقد شيدت إدارة مدينة سالزبورج نفقا يؤدى إلى كوبرى مخصص للمشاه المتجهين من بيت الميلاد إلى بيت الحياة. والكوبرى تحفة معمارية ويقف على عمود واحد بالقرب من الشاطئ الغربى للنهر ويمتد فى انحناء جميل تجاه الشرق.

وثمن تذكرة دخول المنزلين للأسرة المكونة من أب وأم وطفلين، هو مبلغ يعادل ١٤,٥ دولار أمريكى أو ١٨,٥ يورو.

منزل الميلاد مدخله ضيق، علق على جدرانه لوحات عن حياة موتسارت ومعلومات عنه. وفيه أشاره إلى أن شباك التذاكر موجود فى الدور الأول من هذه العمارة الباروكية والسلم المؤدى إلى شباك التذاكر ضيق جدا، ومثبت فى جانبيه عمودان من الحديد يقومان بدور الترابزين، لمساعدة الصاعدين، وأول من تلتقى به فى مدخل «الشقة» التى ولد بها موتسارت، هو أحد رجال الأمن يطلب منك تنفيذ التنويه الملصق عند شباك التذاكر، فلا تصوير من أى نوع، لا فوتو، ولا فيديو..

فى الغرفة الأولى، يوجد عدد من النوت الموسيقية مكتوبة بخط موتسارت، وهى مسودات لأعماله، لا شطب فيها ولا كشط عكس المسودات التى عرفت عن الموسيقار بتهوفن. وفى أحد أركان الغرفة توجد آلة فبولينه كان يلعب عليها، وبعض المخطوطات العادية غير الموسيقية، وفى أحد أركانها مدفأة مستديرة من السيراميك.

فى غرفة المعيشة صورة عائلية تجمع والد موتسارت مع والدته وماريا وموتسارت، وهى ملونة مما يؤكد أنها من خيال أحد الفنانين حيث أن فن

التصوير، خاصة بالألوان لم يكن قد عرف فى حياة موتسارت، فى الغرفة ساعتان كبيرتان، واحدة مثبتة على عامود جرانيتى على شكل تمثال يقف رأسيا فى الركن الجنوبى للغرفة. والثانية فى شكل صندوق فى حجم جهاز تليفزيون ٢٠ بوصة، وقد ترك بابها مفتوحا، وفى الغرفة يوجد تمثالان نصفيان لموتسارت، صنعا من المرمر ولوحتان تصوران بعض المشاهد من بعض الأوبرات التى لحنها.

فى خارج الشقة الصغيرة ممر ضيق يبلغ طوله حوالى خمسة أمتار، على جانبه الأيمن دورتا مياه إحدهما للرجال والثانية للسيدات، وهما ضيقتان لا تصلحان إلا للاستعمال الخاص بأهل الشقة. وينتهى الممر الضيق بصالة كبيرة خصصت لبيع الكروت، والكتب التذكارية الخاصة بالمنزل وصاحبه.

فى الدور الأسفل، شقة أخرى فيها متحف يعكس صور الحياة فى الفترة التى كان يعيش فيها موتسارت فى المنزل، تظهر ملابس النساء والرجال، ولا تبعد كثيرا عن الزى القومى للنمساويين الذين يحلو لهم أن يرتدوه عند زيارتهم للمدينة القديمة، وفى المتحف نماذج لبعض الآلات المستخدمة فى ذلك العصر وأشكال لأثاث المنازل.

و.. بيت الإبداع..

يغلق متحف موتسارت أبوابه فى الخامسة بعد الظهر ويفتحها فى العاشرة، وقد ضبطت كميات هائلة من أكياس القمامة، ملقاه على باب المنزل وارتفعت لتسد جزءاً كبيراً من مساحة الباب، حتى تصل إلى اللوحة الرخامية التى وضعت على واجهته للتنويه عن متحف موتسارت.

وتذكرة دخول المنزل تتيح لحاملها دخول المنزل الذى عاش فيه وكتب أشهر أعماله، وله مدخل أكثر اتساعا من منزل الميلاد، على أحد حوائط

الدور الأرضى، علقت بيانات عن المتاحف الخاصة بموتسارت فى دول العالم، وفى مدخل باب مقهى، يضع بعض كراسيه أمام المنزل التاريخى، وفيه متجر لبيع الكتب الخاصة بسالزبورج وموتسارت. ويؤدى المدخل إلى حديقة صغيرة يتأمل فيها السائحون، تاريخ وإبداعات موتسارت ومواهبه، وفى المدخل ركن ليقدم للزائرين جهازا فى شكل وحجم «الموبايل» يسمعون منه شرحا لما يرونه فى المنزل فى الدور الأعلى. أما سلم المنزل فأكثر اتساعا، من سلم منزل الميلاد،

فى الغرفة الأولى، أجهزة الهاربسيكورد التى كان يعزف عليها موتسارت. وفى أشكال متدرجة التطور.

فى الغرفة الثانية، هرمان زجاجيان بارتفاع الغرفة فى ثلثها الأسفل، بعض آلات النفخ المستعملة فى الأوركسترا. وفى الثلث الثانى بعض أوراقه، وفى المساحة العليا، بعض الكتب. فى نفس الغرفة أكثر من منضدة يكشف سطحها الزجاجى عن بعض النوت الموسيقية بخطه وبعض الرسائل التى كان يكتبها لأصدقائه، وفى أحد أركان الغرفة توجد دواية حبر، وريشتان من ريش النعام لزوم الكتابة.

فى غرفة النوم، سرير يتسع لشخص واحد وترابيزة وعدة لوحات لموتسارت وهرم مرتفع بارتفاع الحجرة من مجلدات الكتب القديمة. ومدفأة من السيراميك المستدير، وفى آخر المنزل غرفة لعرض فيلم قصير عن صاحب «المنزل» وأجهزة استماع لبعض أعماله.

مهرجان موتسارت

فى شهر أغسطس من كل عام يحتفل العالم الموسيقى بمهرجان سالزبورج ويترقبه محبو الموسيقى فى العالم ليقفوا على الجديد فى الموسيقى

إلى جانب روائع المؤلفات التى كتبت فى مختلف العصور وقد اختيرت هذه المدينة للمهرجان الكبير منذ عام ١٩٢٠ لأسباب أهمها أنها المدينة التى أنجبت موتسارت للعالم وتحمل موسيقاه الإحساس بسحرها، تبلغ ميزانية المهرجان ٦١٨ مليون شلن أى حوالى ٤٠ مليون دولار أمريكا وتباع ٢٤٠ ألف تذكرة سنوياً لحضور فعالياته. وأحيانا تباع فى السوق السوداء حيث يصل ثمن التذكرة الواحدة ما يقرب من ٣٠٠ دولار أمريكى.

وما يميز المهرجان ويجذب العديد من البشر إليه، حفلات موتسارت الصباحية، وحفلات موتسارت المسائية التى يقدمها معهد موتسارت وتشتهر بتقديم أعمال الموسيقار العظيم بأسلوب سالزبورج التقليدى وكثير ما يعزف فيها أعمال من تأليفه غير شائعة.

خلال المهرجانات تنشط المطاعم فتدعو الزائرين إلى غداء على موسيقى موتسارت، أو عشاء مع العزف الحى لأعماله.

وتقدم أكاديمية موتسارت الموسيقية بسالزبورج دراسات صيفية عالمية فى نفس وقت إقامة المهرجان، تدعو للتدريس فيها أساتذة الموسيقى فى العالم فى فروع التخصصات الموسيقية، وقد أصبحت فرصة الالتحاق بها وقفا على النابغين من شباب الموسيقيين فى العالم.

موتسارت.. بالكريمة!

و«شيكولاتة موتسارت» أبرز ملامح الأسواق النمساوية، والهدية الواجب حملها من المطارات، اخترعها بول فورست المشرف على أعمال موتسارت، وبدأ تنفيذها ١٨٩٠ يعنى بعد ١٠٠ عام من رحيل الموسيقار العالمى، هى مكسرات مكورة مغموسة فى النوجا مغلفة بصورة موتسارت الملونة. بدأت صناعتها يدويا، ولما زاد الإقبال عليها أنتجها مصنع شهير

فى سالزبورج هو «ماربيل» يدويا أيضا، عرفها السائحون، وقدمها رائد الفضاء النمساوى فرانز فيبوك لزملائه، وتخاطفها المجتمعون فى مفاوضات الاتحاد الأوربى، فقرر المصنع المذكور إنتاجها آليا ليسد الطلب عليها الذى يزداد يوما بعد يوم، وأصبحت سلعة تستوردها ٥٠ دولة، وأصبح من المعروف أن «من زار النمسا ولم يشتر شيكولاتة موتسارت.. فلم يزرها» شكلها جميل وبديع، تأخذ شكل آلة الكمان، وسداسية وصناديق لها سطح مرسوم عليه آلة كمان بالورق الشفاف، وفى أكياس من السلوفان، كل الأشكال من كارتون، أو معدن لونها إما أحمر وإما ذهبى، وإما منهما معا.

والفنادق- وهى من ملامح الحياة السياحية- تعكس أسماؤها وديكوراتها الحياة الفنية فى سالزبورج، فيها فندق موتسارت، وآخر باسم «الفن الجميل» ومنها ما يطلق على الغرف فيه أسماء نجوم موسيقى العالم، ويزين الجدران بلوحات لمشاهير الفن وفى الاحتفال السنوى بذكرى مولده تتلون الأشياء كلها بصوره وموسيقاه من أول العمارات حتى علب الكبريت.

ويفرض موتسارت اسمه وفنه على سالزبورج، فتعرض صوره وأسطوانات موسيقاه فى المتاجر، ويقف تمثاله شامخا فى أبرز ميادين المدينة القديمة وأمام قصر الحاكم، وحتى مقبرته تعد من المزارات السياحية البارزة، لقد أعطى هذا الموسيقار العظيم لبلده، مذاقا خاصا، وكتب لنا موسيقى شامخة هى دائما.. نغم.. فى القلب.. له رنة.

.. سمعها الطير .. بكى وغنى

سالزبورج مدينة الاحتفالات فيها أربعة آلاف حدث ثقافى سنويا مع أن سكانها لا يزيد عددهم على ١٤٤ ألف نسمة، إنها القلب الخافق لأوربا، تقع فى منتصف الطريق بين سويسرا وسلوفينيا وبين ألمانيا وسهول لمبارديا الإيطالية، وبين الجنوب والشمال وفى وسط الجبال والوديان، بين ما هو بطولى وما هو شاعرى إنها تحفة معمارية تخلط بين طابع المدينة، وطابع القرية، بين القديم والحديث المعاصر. بين أسلوب الباروك الشامخ وطابع الأقاليم الساذج، إنها طبيعة تطيل العمر، فإذا وقفت فى الشارع يبهرك منظر السيدات المسنات فوق دراجاتهن تجرى فى ثبات، تحمل السيدة خلفها متطلبات منزلها كأنها شابة فى العشرين. ومتوسط العمر فى النمسا بصفة عامة، وسالزبورج خاصة يزيد على ٧٧ عاما.

والدراجة ضرورة عند سكان سالزبورج فلو كانوا ممن يمتلكون سيارات، فإن تكلفة الجراج عالية جدا، والأمل فى «ركنة» على جانب أحد الشوارع.. معدوم، فهى للسيارات العامة مثل الترولى المفصلى المنتشر فى شوارع كل المدن النمساوية من فيينا إلى جراتسى ومن سالزبورج إلى لينز.

والعجيب فى مدينة سالزبورج أنهم يبيعون الأكياس التى يضع فيها الزبون مشترياته من أى سوبر ماركت، فالشنط ليست على البيعة للمشترين. أما العلاج فهو بالمجان للمواطنين فقط.

رفيقى فى الرحلة، تورمت إحدى عينيه وسألنا عن عيادة لعلاجه، فدلنا استقبال الفندق الذى نزلنا فيه إلى مستشفى الطوارئ وقالوا تتبعوا فى

الشوارع علامة « حرف H » وهو اختصار لكلمة Hospital يعنى مستشفى.. وتتبعنا ووصلنا إلى المستشفى فإذا نحن فى قرية مغلقة، تحوم حولنا ملائكة الرحمة. نظافة، جمال، ابتسامة، والمرضى على الأسرة تجرها الممرضات فى حوارى القرية، ومنهم من فى حالة غير مطمئنة تدل على ذلك الخراطيم المتدلية حول أسرتهم.

فى قسم علاج الطوارئ تقدمنا إلى شباك لنبلغ اسم المريض والتخصص المطلوب. وفى استراحة «٥ نجوم» ، فيها كتب وجهاز تليفزيون ومجلات انتظرنا عشر دقائق نودى بعدها على صديقى ليتوجه إلى غرفة « العيون » وتستقبله فيها طبيبة سبحان الخالق!! وتتعامل معه كأنه خطيبها بنظراتها ولمستها، ثم تستدعى أستاذتها لتؤكد ما سبق أن شخصته من مرض ووصفته من علاج. وخرج ليبلغ شباك الدخول ليخصصوا له ملفا إذا ما تتطلب الأمر العودة إليه– لا قدر الله– أما الدواء فيدفع فيه ثمنا مخفضا من أجزاخانة المستشفى أو القرية العلاجية. لكن فاتورة العلاج وصلته على عنوان مسكنه فى مصر بعد شهرين لكنها حراقة جدا.

أثر سينمائى

يعتز أهل سالزبورج بالقصر الذى تم فيه تصوير الفيلم العالمى «صوت الموسيقى» ويعتبرونه مزاراً سياحيا مهما، يرجع تاريخه إلى الربع الأول من القرن العشرين. فيه تزوج البارون فون تراب من ماريا كونشيرا عام ١٩٢٧ وطردتهما السلطات من سالزبورج فى عام ١٩٣٩ حيث توجهت الأسرة إلى الولايات المتحدة الأمريكية. وكتبت ماريا مذكراتها فى كتاب ذكرت فيه حكاية «صوت الموسيقى» بالتفصيل فتم عرضه فى شكل مسرحية استعراضية فى برودواى، شارع الفن فى نيويورك ثم أنتجت استوديوهات هوليود قصته فى فيلم قامت ببطولته النجمة جولى أندروز وحقق نجاحا

عظيما فى العالم أجمع، مما أعطى لقصر «صوت الموسيقى» أهمية كبرى فهو أساس القصة وقد تم تصوير بعض مشاهد الفيلم فيه وحوله.

الآن يخصص القصر لعمل البروفات الخاصة بعرض يقام كل ليلة ابتداء من أول شهر مايو إلى نهاية شهر أكتوبر بعنوان «صوت الموسيقى» يلخص حدوتة ويعرض لبعض ألحانه إلى جانب ألحان أخرى لموتسارت وشتراوس.

بدأ هذا العرض منذ عام ١٩٩١ ويقام بقيادة عازف البيانو النمساوى فرانز لانجر، ويتضمن عرضا لشريط فيديو تظهر فيه ماريا فون تراب تحكى قصة عائلتها فى قصر «صوت الموسيقى».

ويقام هذا العرض على مسرح مطعم «شتير نبراو» ويفتح أبوابه كل ليلة فى السابعة ليبدأ العشاء بعد نصف ساعة ويستمر لمدة ساعة بعده يبدأ العرض، أما تذكرة الدخول فثمنها ٢٤ دولارا أمريكيا.

المطعم مكانه فى المدينة القديمة على بعد أمتار من بيت ميلاد موتسارت، وبجواره قهوة «كوما سيللى» وقد بنيت عام ١٧٠٥ ، من التراس الخاص بها فى الدور الثانى، جلست أراقب من ميدان صغير، السياح، وأهل المدينة والجوز الخيل أى «الدروشكن» ولماذا لا نقوم بجولة حول معالم سالزبورج؟.. بكام يا عم؟

قال: الجولة لمدة نصف ساعة بـ ... وما هى إلا دقائق لنحسبها بالدولار الأمريكى، أو بالجنيه المصرى، وطلعت ٢٨ دولارا، وقررنا المغامرة وأتكل على الله يا أسطى..

جبال الملح

سالزبورج اسم للمدينة والمحافظة أيضا، وهى من المدن الجديدة فى النمسا وتعتبر أحدث محافظة بعد محافظة بيرجن لاند كانت خاضعة

لنظام ملكى إلى أن غزاها نابليون بونابرت ثم اجتمع كونجرس فيينا عام ١٨١٦ وأعلن أنها أصبحت تحت السيطرة النمساوية.

بدأت فكرة الاحتفالات فى المدينة عام ١٩٢٠ بتقديم مسرحية اسمها «يادرمان» كل عام فى مسرح أقيم فى ساحة كنيسة «دووم» العريقة مما جذب عددا هائلا من السائحين ثم زادت الاحتفالات بها وقد أطلق عليها اسم «سالزبورج» منذ زمن بعيد فقد سمع عن الملح الذى يستخرج من المناجم فى جبالها منذ أيام الروم، والملح فى اللغة الألمانية يعنى «سالتس» والجبال تعنى «بورج» فيصبح اسمها سالزبورج أى جبال الملح.

اهتم سكانها وحكامها الأساقفة قديما بالتجارة فقط، كما اهتموا ببناء الكنائس العريقة والأسوار العالية لتحميهم وتحمى مدينتهم ومازالت «القلعة» وحوائطها على قمة الجبل تحمى المدينة وتحتفظ بالعراقة والقوة. ففى الحرب العالمية الثانية لم يستطع الطيران الأمريكى النيل من سالزبورج وكل ما فعله هو تدمير قبة كنيسة «الدووم».

يعيش أهل سالزبورج على دخل السياحة، أما التجارة فتتخصص الشركات فى تجارة السيارات، وبناء المعارض أما الصناعة فقد استغنوا عنها خاصة ما يلوث البيئة منها.

احتفالات مسيحية

وسالزبورج معروفة فى العالم بأنها مدينة الاحتفالات فالعام يبدأ الاحتفال لمدة أسبوع بذكرى ميلاد موتسارت فى شهر يناير ثم بأعياد الربيع، وفى النصف الثانى من العام فى يوليه وأغسطس يقام مهرجان الأوبرا، وقبل بداية أعياد الكريسماس يقام احتفال غناء «الأدفنت» الذى يعطى المدينة طابعا جميلا خصوصا فى سوق «كريسكندل» ومعناها

«المسيح الطفل» الذى يقام فى ساحة كنيسة «الدووم» وأيضا سوق أشجار أعياد الميلاد فى ميدان حاكم المدينة، ويتجه المواطنون بعد انتهاء يوم العمل من كل يوم سبت لشراء لوازم الكريسماس والاستماع إلى أجراس تأتى من برج اسمه برج الأجراس وتقدم فيه أغانى الأدفنت فى شكل مهرجان تحجز تذاكر الدخول إليه قبل موعده بكثير.

وكنائس «الدووم» و «الفرانسيسكان» و «سانت بيتر» تعتبر مزارات سياحية طوال العام وخاصة وقت القداس، يشاهدون التماثيل الموضوعة فى مدخل كنيسة «الدووم» توضح ملائكة الكنيسة وملائكة أهل البيت، ويستمعون فيها موسيقى موتسارت ويستمتعون بمعروضاتها التاريخية ومنصاتها الخمس وأبوابها الحديد وقبتها ذات الزخارف البديعة، وقلعتها الشامخة.

.. ومزارات تاريخية

والقلعة من الأماكن القديمة وقد حافظت على طابعها الأوربى، وهى ترتفع عن سطح الأرض بحوالى ١٢٠ مترا بنيت فى فترة سادها الاضطراب على أثر خلافات نشأت بين القيصر والبابا. فيها صالة «درع الشرف» وقاعة ذهبية بها مدفأة منقوشة بزخارف فنية مبهرة ويمكن رؤية كل محتويات القلعة من خلال الوقوف على البرج الخاص بها. وقد أضيف إليها متحف عام ١٨٦١ فيه مدافع القلعة القديمة وبعض الأعمال الفنية، وقد زودت سلطات سالزبورج القلعة حديثا بمصعد لتسهيل الصعود إليها لحضور الحفلات الموسيقية التى تقام فيها خلال شهور الصيف.

أما قصر حاكم سالزبورج فهو مبنى كبير به ثلاث مساحات داخلية، ومكتب الحاكم فى الدور الثانى بالمبنى وهى منقوشة بزخارف جميلة

ومفروشة بأرقى المفروشات ومزينة بلوحات فنية نادرة. وفيه أتليه يضم مجموعة هائلة من أجمل اللوحات الفنية فى أوربا من القرن السادس عشر إلى العشرين. وأمام القصر نافورة متميزة بنيت بين عامى ٥٩- ١٦٦١ اسمها نافورة «الريزيدنتس» أى الحاكم.

وليست مبانى سالزبورج كلها «باروكية» أى من عصر الباروك كما هو فى كنيسة «الدووم» أو فى قصر «ليوبولد» أو كنيسة «مولز» إنما فيها حارات ضيقة وزقاق وملفات صغيرة تعتبر مدينة الشعب ويعيش فيها الحرفيون وبها الأسواق الشعبية والمستشفى الشعبى وسوق الخضار فى ميدان الجامعة حيث يحضر الفلاحون يوميا لبيع منتجاتهم الطازجة.

قصر الحب

بنيت دار أوبرا سالزبورج عام ١٩٢٠ على أرض كانت تستعمل كمغسلة للخيول، ثم أضيفت إليها ثلاثة مسارح تم بناؤها بين عام ١٩٥٦ وعام ١٩٦٠ هى مسرح الأوبرا الكبير والمسرح الصغير ومسرح مدرسة الصخر للفروسية. وبها مسرح للعرائس بنى منذ عام ١٩٢٠ ويقدم مسرحيات عالمية لشكسبير من خلال فن الماريونيت ويعرضها فى مسارح العالم أيضا.

أما قصر «المرابيل» وحديقته فهو رمز الحب فى العالم بناه رئيس الأساقفة عام ١٦٠٦ من أجل حبيبة القلب وكان اسمها سالومى آلت، وأطلق اسمها عليه.. ولما مات وتولى رئيس الأساقفة الجديد طرد الحبيبة من القصر وأطلق عليه اسم قصر «المرابيل» وفى عام ١٧٢١ تم تغيير طابع القصر إلى أسلوب الباروك. لكن شب فيه حريق عام ١٨١٨ أطاح بمعالم الجزء الأيمن منه وهو المواجه للمدينة. فأعيد بناؤه بطريقة العصر البسيطة ولم يبق من البناء القديم إلا سلالمه الرخامية وبعض التماثيل وصالة المرمر

فى الدور الأول والأخير هى صالة القران فى أوربا ويحضر إليها العرسان من كل العالم ليتم زواجهم من خلال كنيسة القصر.

أما حديقة القصر فبنيت هى الأخرى بأسلوب الباروك ومازالت زهورها يانعة، ونمطها باروكى.

لوحات حديثة

ويهتم الحكام والأهالى فى سالزبورج بالفن التشكيلى ففى معرض الريزيدنتس (الحاكم) والذى تأسس ١٩٢٣ مجموعة كبيرة من اللوحات التى تم جمعها منذ أيام الأساقفة الحكام توضح الصورة التى كانت عليها الحياة الأوربية من القرن السادس عشر حتى القرن العشرين وبالذات للمدارس الهولندية والإيطالية والنمساوية كما أن المناطق السياحية فى سالزبورج لا يختفى منها الفنانون المعاصرون بلوحاتهم المستوحاة من طبيعة بلدهم، ومنهم من تخصص فى رسم بورتريهات للسائحين، وتقام فى المدينة مهرجانات للفن التشكيلى تعرض فيها لوحات سلفادور دالى إلى جانب إبداعات الأجيال المعاصرة، كما تقام معارض لفنون النحت والرسم على الخامات المختلفة.

لقد تمنيت أن يبقى «الدروكشن» معنا لكن بقاءه مرتبط بوجود دولارات، والعين بصيرة والأيد قصيرة، ونكتفى بهذا القدر من خدمات «الدروكشن» لنستعرض ملامح سالزبورج مشيا على الأقدام من شوارعها الهادئة، والتى تنبعث من مسارحها العريقة موسيقى خالدة، سمعها الطير.. بكى وغنى.

م الألب.. للألب.. رسول !!

رغم أن جبال الألب، تعتبر حدودا طبيعية تفصل بين مدن وسط أوروبا، فإن الأوربيين تحدوها زمان.. فاخترقوها بالأنفاق، وصعدوا عليها بالقطارات والمصاعد ثم أعلنوا الوحدة الشاملة تحديا للجبال الشاهقة الرائقة، وغنوا معاً فى صوت أوربى جماعى، أغنية ليلى مراد الشهيرة، «م القلب للألب رسول.. عرفت من غير ما تقول».

وجبال الألب ليست ملجأ لمطاريد دول أوروبا، لكنها مناطق تتمتع بالجمال الإلهى الخلاب فى كل شهور السنة ويزورها مائة مليون سائح سنويا.

تبدأ جبال الألب النمساوية من محافظة سالزبورج وقد تأسست منتزهات الألب الطبيعية القومية عام ١٩٨٠ باتفاق ثلاث محافظات نمساوية متجاورة هى «سالزبورج» و«تيرول» و«كارنتن»

والجزء التابع لسالزبورج، يميزه أودية جبال «التوورن» الشمالية، وتمتد من منطقة «كريمل» إلى إقليم «لونجاو» وتميزها قمم الجبال المرتفعة، وهى دائما بيضاء فهى أعلى من مستوى الثلوج وإقليم «التننجاو» أحد خمسة أقاليم جبلية فى ضواحى سالزبورج، أما مدينة «هالين» فلها تاريخ عظيم فى مجال الصناعة.

قصر فرانس وإليزابيث

و«جبل الدورن» كان مصدرا لاستخراج الملح منذ حوالى ألف عام، وعليه يقع برج عريق يحمل اسم الجبل، أما الطبيعة فى هذا الإقليم فهى

متنوعة جغرافيا ففيها جبال شامخة، وأخرى صغيرة، وفيها أيضا أراض مسطحة.

ومنطقة «سالتس» وتعنى الملح مليئة بالبحيرات الجبلية وفيها جبال تغطيها الأشجار الكثيفة وجبال «شروفر» الصخرية والعديد من القرى والمستوطنات البشرية والكفور، والمدن.

ومن المزارات المتاحة فى هذه المنطقة «فيللا القيصر» وتقع على مساحة واسعة من الحدائق، أما القيصر فهو فرانس الأول قيصر النمسا الذى قضى فى مدينة «باد إيشل» أكثر من خمسين صيفا. وكانت إقامته فى هذا القصر، وفيه وقع اتفاقية إعلان الحرب ضد الصرب ١٩١٤، وفيه أيضا تعرف على «سيسى» التى تزوجها فيما بعد وأصبحت إمبراطورية البلاد وحملت اسم الإمبراطورية اليزابيث. كذلك التقى الإمبراطور فى هذا القصر بكثير من ملوك وإمبراطورات وأمراء أوروبا. أما الموسيقار فرانز ليهر فقد عاش هناك وكتب فى مدينة «باد أيشل» عددا من الأوبرات التى عرضت هناك أيضا وما زالت تعرض حتى الآن.

أنفاق.. وكبارى

يبلغ طول جبال الألب النمساوية حوالى ٨٠ ميلا، وهى تجرى من الشرق إلى الغرب، فى مدينة «فرارلبخ» إلى مدينة «فيينا فالت» والأخيرة بلغت من الشهرة أن أطلق اسمها على سلسلة مطاعم نمساوية تخصصت فى تقديم خلطة خاصة من الدجاج المحمّر تضارع الخلطة الأمريكية «كنتاكى فرايد تشكن».

وجبال الألب تحيطها الوديان وتتخللها الأنهار والشلالات والبحيرات التى تعد بالآلاف، وتعتبر القاطرات القديمة وسيلة لعبورها من خلال أنفاق

متباينة فى الطول والاتساع إذ يصل طول بعضها إلى أكثر من ستة كيلومترات، أما القطارات فمنها ما زود بعجلات مشرشرة تمكنها من الصعود على الجبال، ومنها ما هو مجهز لحمل سيارات الأهالى والسائحين، مقابل حوالى ١٣ دولارا أمريكا مع أنك إذا حاولت عبور الجبال بسيارتك وبغير القطار فإن ذلك سوف يكلفك مبلغ ٢٣ دولارا كرسم يدفع قبل الصعود للجبال.

عند محطة دفع الرسوم لراكب السيارات والدراجات البخارية تنتشر حوانيت لبيع الهدايا التذكارية، لجبال الألب، وكروت البوستال التى تصورا بالطبيعة والبيئة ومتحف فيه صور للحيوانات والنباتات التى تعيش فى الجبل وصور الحياة عليه، أما أكشاك الهدايا فتبيع نماذج لهذه الحيوانات مصنوعة من الخامات المختلفة، كالقطن، والخشب، والنحاس وغيرها.

كهف مارتن لوثر

وجبال الألب تأخذ كل الأشكال الجبلية فمنها الصخرية، تتلاحق فترسم فى الصخر أشكالا وشقوقا، وقد بنوا عليها الكبارى الصغيرة، والبيوت التى تطل على عمقها وشلالاتها من مياه الثلج الذائب، شلالات بيضاء تختلف فى الأحجام وقوة السقوط وتتفق فى اللون الأبيض الناصع، وتتجمع مياه الشلالات والمجارى لتكون المئات والآلاف من البحيرات التى يتمتع بها سكان الجبال والسائحون، بالسباحة، واللانشات والصيد، والألعاب المائية المختلفة.

فى الجبال كهوف كثيرة، ومنها كهف شهير هو «إنترسن كيرشا» Entrische Kirche الذى اكتشف عام ١٤٢٨ وأصبحت له قيمة تاريخية فكان يجتمع فيه اتباع مارتن لوثر وقد اهتمت به السلطات النمساوية

وأعدته كمزار سياحى واحتفلت به بالذكرى الخمسمائة لرحيل مارتن لوثر سنة ١٩٨٣ والفلاحون النمساويون فى تجمعاتهم فى الوديان يعشقون موسيقى يوهان شتراوس وفرانزليهر، وهم يفضلون الاكتفاء الذاتى، فيصنعون خبزهم والجبن، ويربون الخنازير فى البيوت. وهم رومانسيون يزرعون الورود على واجهات بيوتهم الخشبية، والأكشاك موجودة بكثرة لخدمة السائحين.

وإذا دفعت ثمن تذكرة الصعود لجبال الألب وكنت من هواة التزحلق على الجليد، فإن الثلج يتراكم على الجبال، وابتداء من شهر يناير يتساقط بصورة متواصلة مما يعوق عملية التزحلق، فيكتفى السائحون بالجلوس فى المطاعم الجبلية أو الاستمتاع بمنظر شروق الشمس وغروبها أسفل الجبال. أو بالمشى أو ركوب الدراجات العادية البخارية أو بالفرجة على هواة الألعاب الشعبية المبهرة على الدراجات.

ويتجمع السائحون حول تمثال صخرى لفرانز جوريف قيصر النمسا.

حيوانات الألب

وجبال الألب تعيش فيها أنواع نادرة من الحيوانات يمكن للسائحين اللعب معها فى شهور الربيع والصيف من مايو إلى نوفمبر ويبلغ عدد هذه الحيوانات والطيور ٢٠٠ نوع منها الظباء، وغزلان الشمواه والغزلان الحمراء، وغزالة الشمواه، والبوم الأبيض وغيرها ويتفنن الفلاحون فى جبال الألب فى أشكال الاحتفالات التى يرحبون فيها بضيوفهم من السائحين، فيبدعون فى وضع الأشكال المزخرفة من النباتات على قرون الأبقار لتبدو فى شكل استعراضى مرح، ويعزفون على آلة الأكورديون.

ويمكن للسائحين الهبوط من أعالى الجبال بمصاعد خاصة لمراقبة الحيوانات فى الوديان، ويمكنهم استعمال التلفريك فى الفرجة على القمم الثلجية وعلى الكهوف.

الألب الإيطالية

لقد سقطت الحواجز بين دول أوروبا ولم تعد نقاط الحدود بينها إلا أطلالا للذكرى، وتلمع أمام المسافر بين هذه الدول لوحة صغيرة يكتب عليها اسم الدولة التى تهم بدخولها، وحوله دائرة من النجوم رمز الاتحاد الأوروبى، فلم تعد جبال الألب تفصل بين شعوب أوروبا. ولم يعد المسافر إلى هناك يعرف فوق هذه الجبال هل هو فى النمسا أو فى إيطاليا أو فى غيرهما؟

فالقمم الجبلية فى إيطاليا نفسها فى النمسا، مكسوة بالثلوج فى مواجهة الوديان الخضراء المتراصة وسط لوحة من الجمال الطبيعى، فى الشمال الغربى لجبال الألب الإيطالية منطقة «فاليه داوستا» الجميلة المبهرة وهى منطقة تفصل بين فرنسا وسويسرا من خلال قمم جبال «ماترهورن» و«مونت بلانك» وعليها تقام ألعاب التزحلق الخطيرة، والمشى على الأقدام.

أما المنطقة الشمالية ففيها منحدرات وبحيرات «لومباردى» فى منطقة «دولوميتش» التى تبعد أكثر نحو الشرق تنتشر فى المكان صفوف طويلة من الصخور الحمراء، أما فى الجزء الغربى فتوجد مجموعة «دولو ميتى دى برنتا» وهى مجموعة من القمم الجبلية ترقد فوق مروج «فال ريندنا» الخضراء.

وجبال الألب الإيطالية مكان للتزحلق على الجليد، وهى فى الشتاء فرصة للمشى على الأقدام، ويمتد موسم المشى عليها من ٢٠ يونيه

إلى ٢٠ سبتمبر من كل عام، أما المشى فى حدائق «جران باراديز» (١٧٨ ألف فدان) فى طرق وممرات موضح عليها علامات الطريق لكل مستويات اللياقة فى المشى، والخبرة وحديقة «ستيفليو» (٣٣٦ ألف فدان) مثالية للمشى أيضا.

وعلى جبال الألب الإيطالية بحيرات واسعة تستغل فى بعض الألعاب المائية، والإبحار الشراعى وركوب الألواح المائية (سيرف) على الأمواج.

وعلى جبال الألب الإيطالية تعيش حيوانات كثيرة مشابهة التى تعيش على الجبال النمساوية، وعليها أيضا نباتات نادرة ورقيقة منها زهور الزعفران والسوسن وغابات «اللاركس البيسيه» الصنوبرية وغابات الصنوبر الاسكتلندية والسويسرية.

تجديد النفق الفرنسى

لقد تم اختراق جبال الألب فى القرن التاسع عشر من خلال تشييد العديد من الكبارى بأحجام مختلفة والأنفاق بأطوال كبيرة.

لكن قيمة هذه الأنفاق المعمارية والتاريخية لا تمنع من القول بأنها لم تكن على المستوى المطلوب من درجة الأمان التى تحققها للعابرين وما زالت ساحات المحاكم فى فرنسا وإيطاليا تنظر العديد من القضايا التى رفعها أهالى ضحايا نفق الألب بين فرنسا وإيطاليا والذى يمتد ١٢ كيلو مترا، وكانت سيارة لنقل الوقود تعرضت للانفجار أثناء عبورها النفق ولقى فى الحادث ٤٣ شخصا مصرعهم حرقا واختناقا بعد أن انتقل الحريق إلى السيارات الأخرى التى تعبر نفس النفق.

وقد أعيد تجديد نفق الألب وازدادت احتياطات الأمن فيه، وزود بأجهزة إنذار حديثة والاتصال الفورى والتلقائى بجميع الهيئات

والمؤسسات المطلوب منها التدخل لمواجهة أى حادث كالمطافئ والإسعاف والمستشفيات والشرطة، وتم تخصيص حارة لا تستخدمها العربات التى تدخل النفق فهى مخصصة لسيارات الإنقاذ فضلا عن تجديد شبكة التهوية وشفط الهواء وتجديده مع أجهزة عملاقة لشفط الدخان عند الحريق، وعمل فتحات تتيح لمن بداخل النفق فرصة الخروج من خلالها إلى جبال الألب مع توافر محطات لاستقبال الخارجين منه.

البلاد التى تتقاسم جبال الألب هى فرنسا وألمانيا والنمسا وسويسرا وسلوفينيا وتقيم مهرجانا سينمائيا لأفلام الألب تشارك فيه هذه الدول بأفلامها التى يلعب فيها الألب دورا أساسيا، وكل الأفلام التى يعرضها المهرجان مصحوبة بترجمة إلى اللغة الإنجليزية.

ليكون المهرجان عامل ربط بين هذه الدول التى تجمعها جبال الألب، كما تفعل عشرات الكبارى والأنفاق بينها والتى تقوم بدور رسول الحب بين جبال الألب والدول التى تقع فيها.

وترى الجندول فى عرض القنال

إذا كنت ممن يفضلون الرحلات بالسيارة. فلابد أن تكون زبونا عند شركات تأجير السيارات، وفى مدن أوروبا الغربية سوف يسألونك: هل ستذهب إلى أى دولة أوربية شرقية؟ فإذا أجبت بنعم فعليك أن توقع على إقرار يلزمك بدفع ثمن السيارة كاملا إذا ضاعت منك . النمسا فى وسط أوروبا، وسالزبورج فى قلبها، وهى الأقرب لكثير من مدن القارة، فالمسافة بينها وبين مدينة ميونخ الألمانية. ١٥ كيلومترا، تقطعها السيارة فى أقل من ساعة ونصف الساعة، فى طريق «علمى» مائة فى المائة من حيث التصميم العمرانى، وعلم المرور بإشارته الواضحة، أما المناظر فهى طبيعية، بين مزارع ومراعى وبحيرات ومبان واستراحات.

بعد المنطقة التى كانت فى الماضى حدودا بين النمسا وألمانيا تبدأ مدينة ميونخ بقلعة الملك لودفيج الثانى ٨٦- ١٨٦٤ ملك بافاريا، إنها قلعة نيوشفا نشتاين Newschwanstein وفى منتصف الطريق بين المدينتين قلعة أخرى بنيت على جزيرة صغيرة داخل بحيرة «شيمس»

ومدينة ميونخ لا تختلف فى معمارها عن مدينة سالزبورج الباروكية، لكن شوارع وسط المدينة فى ميونخ أكثر زحاما لتجمع بشرى من كل جنس وكل لون وإن ظل الطابع الألمانى هو السائد على غير المعروف فى مدن كبرى كثيرة. فالألمان يحبون السياحة الخارجية والداخلية. وقد طرأت عليهم فى الفترة الأخيرة تغييرات واضحة، منها التكلم بغير لغتهم الألمانية مع الضيوف، وخاصة باللغة الإنجليزية، ويرجع ذلك لحبهم للسياحة. ولاتجاههم للمشروعات الخاصة المشتركة مع شعوب أخرى، ولدخولهم

الاتحاد الأوروبى الذى يعتبر اللغة الإنجليزية لغة مشتركة تصلح للتفاهم بين الأعضاء مع المحافظة على اللغات المحلية.

الساعة الناطقة

من أبرز ملامح الشارع الرئيسى وسط ميونخ، صالة المدينة الجديدة، فى ميدان مارين ويجلس السائحون بالمئات وأعناقهم مرفوعة، وعيونهم مشدودة إلى النصف العالى من هذا المبنى العملاق الذى يسميه البعض «مبنى الساعة الناطقة»

المبنى مقسم إلى أقسام ثلاثة الجزء السفلى يمثل رقصة صنّاع البراميل والتى قدمها الصنّاع لأول مرة فى الستينيات من القرن السابع عشر، بعد انتهاء وباء اجتاح المدينة، احتفلوا بذلك بالرقص الذى يعبر عن مهنتهم، وتكررت الرقصة والاحتفال بعد سبع سنوات من عرضها الأول.

وفى القسم الذى يعلوه توجد ساعة ناطقة تضرب بجرسها مرتين يوميا الأولى فى الحادية عشرة قبل الظهر، والثانية فى الخامسة بعد العصر، ويجلس السائحون بالساعات انتظارا لها فعلى صوتها يرقص تماثيل ثلاث عرائس مع عرسانهن.

ومن العادات الأوروبية المرتبطة بهذه الصورة، تجمّع الشباب المقبل على الزواج ليراقص العرائس على صوت دقات أجراس صالة المدينة الجديدة، وقد بدأت هذه العادة فى الظهور منذ عام ١٥٦٨ ميلادية.

فى الجزء الأعلى من المبنى الضخم يوجد بناء حديدى على شكل طائر، يصدر أصواتا شجية حزينة بعد أن ينتهى ضرب الأجراس الثلاثة من الساعة الناطقة.

ميدان مارين، فيه قهوة للإنترنت، ومليئا بالأسواق والمتسوقين، وإذا صعدت إلى قمة كنيسة سان بيتر فى الشارع الرئيسى سوف ترى صورة عامة لمدينة ميونخ، وإذا كان الجو صحوا لا غيوم فيه فيمكن أن ترى جانبا من جبال الألب.

فنون رفيعة

أما الحديقة الإنجليزية بميونخ فهى من أكبر وأجمل الحدائق فى العالم. صممها مهندس إنجليزى على طريقة الحدائق الإنجليزية. فتسبت إلى بلده، يبلغ طولها ٦ كيلو مترات وعرضها كيلو ونصف الكيلومتر- كانت منطقة الصيد عند ملوك مقاطعة بافاريا وهى إحدى المقاطعات الست عشرة فى ألمانيا، وأكبرها وعاصمتها ميونخ، وأصبحت الحديقة بعد ذلك منطقة لتدريب الجيش الخاص ببفاريا، ثم انتقلت إلى الشعب فى عام ١٧٠٠م.

وعلى بعد نصف ساعة بالسيارة من ميونخ يوجد أول معسكر للنازية ويقال أنه قد أعدم فيه ٣٥ ألفا من خلال غرف الغاز، المعسكر أصبح الآن متحفا فى مدينة «دافاو» يعرض تاريخه من خلال شريط فيديو مدته ٢٢ دقيقة. بعد أن أصبح أثرا من بعد عين.

وتهتم مدينة ميونخ بالفنون الرفيعة، مثل جارتها مدينة سالزبورج النمساوية، فهم يطبعون برنامج أوركسترا ميونخ الفلهارمونى فى شكل نوتة متصلة الورق، لها غلافان من الورق المقوى المطبوع عليه صورة الأوركسترا، وفى باطن أحد الأغلفة، مكان يتسع للتذكرة التى يفكر المستمع فى شرائها.

كذلك تطبع برامج مهرجانات الموسيقى الحديثة لأغانى الدول، ومهرجانات موسيقى الجاز، والمسرح الكلاسيكى والشعبى فى كتيبات

فاخرة مطبوع فى كل منها «تابلوه» الحجز للمسارح حتى يسهل على المستمع أو المتفرج أن يختار بنفسه المكان الذى يحب أن يشاهد أو يستمع منه. كما تهتم ميونخ بعرض فن الأوبريتات حتى ولو كانت من إنتاج الدول المجاورة ومنها المجر كذلك تهتم بكل ألوان الأفلام السينمائية للكبار والصغار وتطبع الكتب عن أفلام الموسم من الإنتاج الألمانى، وعروض سينما الأيماكس المجسمة.

التابوت مقابل الآثار

وما أكثر متاحف المدينة، وكلها تغلق أبوابها الاثنين من كل أسبوع، فهناك متاحف للفن الحديث وأخرى للقديم، بالإضافة إلى متحف الرئاسة الذى كانت تعيش فيه أسرة ملك بافاريا منذ أوائل القرن السادس عشر حتى ١٩١٨، فى القصر، يوجد التاج الذهبى للملك وعقد الملكة من الذهب أيضا.

أما «متحف ميونخ» فيعرفه المصريون جيدا، فقد اختبأت فيه أرضية تابوت الملك إخناتون منذ ١٩٨٠، ولما اكتشفت الحكومة المصرية السر، طالبت به القائمين على المتحف، فاشترطوا لعودته الحصول على بعض ما تم اكتشافه من قطع أثرية فى نفس المقبرة، يعنى «التابوت مقابل بعض الآثار!!» وكأن الألمان أصبحوا من الورثة الشرعيين للفراعنة، أو تقل أنها عملية «غسيل آثار» فهم يطالبون بمقابل أثرى، لآثار مسروقة أصلا، وبالمجهودات الدبلوماسية توصلت حكومة مصر لاسترداد التابوت بعد عرضه من ١٦ أكتوبر ٢٠٠١ إلى ١٣ يناير ٢٠٠٢، على أن ترسل مصر إلى متحف ميونخ بعض الآثار التى تكمل العرض الفرعونى، من هذه الآثار غطاء التابوت المسروق، والذى تم ترميمه فى ميونخ. وأربع قطع أثرية أخرى، وكل المعروضات تعود إلى مصر بعد عرضها للفترة المتفق عليها.

وأرضية تابوت الملك إخناتون محلاة بشرائح ذهبية وأحجار نفيسة اكتشفها الأمريكى تيودور ديفيز عام ١٩٠٧ فى المقبرة التى تحمل اسم KV55 بوادى الملوك بالأقصر، وضعت فى المتحف المصرى ثم سرقت منه فى الفترة من ١٩١٥ و١٩٣٠ وظهرت عام ١٩٨٠ فى متحف ميونخ وأعلن عن مكانه عالم الآثار الألمانى رالف كراوس فى اللقاء السنوى لعلماء الآثار فى ٩ يوليو ٢٠٠٠ وطالب بإعادته لمصر، وقامت الصحف والمجلات الألمانية بحملة لفضح تورط علماء المصريات الألمان فى سرقة الآثار المصرية وتهريبها إلى ألمانيا.

سياحات ألمانية جدا

والشعب الألمانى يحب السياحة، ويقدس أيام الإجازات.. وقد ابتدع فكرة ضم الإجازة العادية إذا وافقت يوم عمل فى منتصف الأسبوع إلى نهايته ليضمها إلى إجازة نهاية الأسبوع فيمكنه أن يسافر إلى الخارج أو إلى الداخل.

وفى بلدهم ابتدعوا نوعا من السياحة من خلال المشى والدراجات، وفى شارع فى ميونخ شاهدت عددا من راكبى الدراجات يقودهم مرشد سياحى فى رحلة حول المدينة وما حولها تستغرق نصف يوم، ويمكن أن تزيد إلى يوم كامل. ويطلب المرشد من السائحين معه أن يكون معهم مايوهات فإذا وصلوا لبحيرة يمكن اعتبار السباحة جزءا من الرحلة ويطمئنهم إذا كان برفقتهم أطفال. فالدرجات المزودة بكراسى إضافية للأطفال متاحة، والدراجات تجرى فى الحدائق والشوارع وأمام المزارات المختلفة، أما الوفد السياحى فلا يقل عدده عن ستة عشر سائحا ولا يزيد عن خمسة وعشرين.

أما سياحة المشى فهى من أجل إلقاء نظرة، مع شرح واف لمزارات قريبة، منها مبنى تذكارى يمثل صعود وهبوط الرايخ الثالث ١٩١٩ وميدان

أوديون، وغير ذلك.. ومثل هذه السياحة تتميز برخص ثمنها، فلا يدفع السائح أكثر من ٧ دولارات والأطفال مجانا لكنها لا تبدأ إلا فى شهر مايو وتنتهى فى شهر أغسطس قبل أن تسقط الثلوج فى المدينة.

ومدن ألمانيا أصبحت فى الفترة الأخيرة محط اهتمام السائحين.. وأسواقها فيها بضائع منوعة، وربما ليست رخيصة، أما الضريبة على الخدمات والبضائع فيها فتصل إلى ١٦٪، وتصل ضريبة الدخل إلى أكثر من ٥٠٪ إذ بلغ الدخل العام للمواطن ٧٠ ألف دولار، وسعر الجالون من الغاز ٤ دولارات وربما كان العرب الموجودون بأعداد هائلة فى المدن الألمانية هم السبب فى رفع سعر الغاز فهم يفضلونه فى سياراتهم كما يفعل الأمريكان.

أما مدينة ميونخ فقد اشتق اسمها **Munchen** من كلمة «**Monks**» وهم الراهبون الذين عاشوا لعبادة الله وخدمة الناس أى للعبادة والطاعة، وبنوا فى أرض المدينة كنيسة سان بيتر عام ١٠٥٠ وقبل بناء المدينة نفسها بأكثر من ١٠٨ سنوات- وما زالت الكنيسة قائمة وسط المدينة التى عرفت بأنها المدينة الواقعة تحت أقدام جبال الألب، قرية المليون مواطن، والعاصمة السرية للألمان.

من بلد موتسارت إلى بلد ليست

وتبعد مدينة سالزبورج عن العاصمة النمساوية فيينا ٣٠٠ كيلومتر مربع وهى مسافة أطول من تلك التى تفصل فيينا عن مدينة بودابست عاصمة المجر وأحد الأقاليم التى كانت مكونة لإمبراطورية النمسا فى فترة تاريخية سابقة.

وتبعد بودابست عن فيينا بـ ٢٥٠ كيلومترا فقط. والطريق بين العاصمتين له ملامح مشتركة، فكبارى المشاه بين ضفتيه لها نفس الطراز، ومبنية بنفس الخامات. وطرز المدن على الطريق واحدة فى الدولتين.

وبودابست بلد الموسيقى فرانزلست وبيلاباتوك وزولتاى كودای مزيج ساحر بين الأوتار المؤثرة للكمنجات الغجرية وعروض فروسية راقية وكنائس وآثار مبهرة ومنتجعات مياه أنيقة، وتقاليد ومهرجانات وفنون شعبية حية تتدفق وتصب فى تجربة فريدة يمكن أن يتعرف عليها الزائر فى لمحة بسيطة ويندمج فيها.

والاستحمام فى مياه المجر الحرارية الساخنة يعتبر مصدر علاج طبيعى، إلا لو كان السائح يشكو من مشاكل فى القلب أو من ضغط الدم فعليه باستشارة طبيبه أولا.

وتكاليف هذا الحمام الذى يناه الأتراك فى فترة استعمارهم للمجر، متواضعة لكن فوائده التى تعود على الجسم كبيرة، وهناك أيضا علاج لمجموعة كاملة لعدد كبير من الأمراض مثل الشقاء من الروماتيزم أو تخفيف الاضطرابات المعدية والمعوية.

ويمكن إعادة الحيوية للأطراف، واستعادة الشعور بالشباب من خلال الاسترخاء على سطح أكبر بحيرة دافئة فى أوروبا وهى بحيرة «جايوجى تو» فى منطقة «هيفر»، وتصل درجة حرارتها إلى ٤٢ درجة حتى لو أن خارجها جليد يتساقط على الأشجار.

ومنتجعات المياه فى بودابست حديثة وبها كبائن وشاليهات خشبية، وفيها مياه كبريتية زرقاء تزينها زهور السوسن الوردية والبيضاء. وتفور بفقاعات متدفقة من فوهة يصل عمقها إلى ٤٠ مترا تخرج من الطين ما له استخدامات طبية مهمة.

فى أوقات الذروة يشاهد الزائر أهالى المجر وعشاق الإجازات يتمايلون داخل إطارات سوداء كبيرة من الكاوتش منفوخة فى منظر غريب.

ويمكن أن يستحم الزائر فى حمامات المياه الساخنة وهى كثيرة فى المجر، وأيضا فى أحد الكهوف فى منطقة «ميسكو ليكلتابوليكا».

والحمام الساخن و«المساج» يجلب الشعور بالاسترخاء والنعاس والنوم بسهولة، ويعيد لى ذكرى أيام جميلة عشتها فى هذه المدينة الزاخرة بمجموعة من المعمار الهائل فى المبانى والكبارى على نهر الدانوب، ولونه فى المجر أحمر وليس أزرق كما رآه الموسيقار يوهان شتراوس، وكذلك قلعة «هيل» التى تعود للعصور الوسطى، وجزيرة مارجريت والحدائق الغناء حولها، ثم لا تنس أن دخولك للمجر يحتاج إلى تأشيرة دخول. فهى ليست ضمن دول الاتحاد الأوروبى.

المدينة الرومانسية

وإذا زرت جبال الألب النمساوية، ووجدت نفسك فى إيطاليا، فاخطف رجلك إلى مدينة البندقية، أو فينيسيا أو المدينة العائمة أو فينيسيا ذات الطابع الرومانسى والتاريخى. ترقد فينيسيا بأكملها داخل المياه. وبيوتها تقف على أعمدة من خشب، وتربطها شبكة من ٤٠٠ كوبرى وجسر وهما جوهرة على خريطة الشمال الإيطالى، ومساحتها صغيرة جدا ويكفى لزيارتها يوم أو يومان، تترك سيارتك فى ميدان واسع، بالقرب من محطة قطار أوروبا، وتستقل الجندول فى شوارعها المائية، لترى فى الصباح بائع الصحف فى لهانس، وبائع اللبن أيضا، ويقابلك جامع القمامة فى لنشه الخاص، وبياع الخضر والفاكهة ينادى على سلعته من فوق الماء.

ومدينة فينيسيا أو البندقية كما يعرفها العرب هى وحى الفنانين والشعراء وهى مقر لأقدم مهرجان سينمائى فى العالم، وجائزته مرموقة هى

الأسد الذهبى وقد خلدها شاعرنا على محمود طه (١٩٠٢- ١٩٤٩) فى قصيدة الجندول التى لحنها وغناها الموسيقار محمد عبد الوهاب فزاد شوق المثقفين لزيارتها والتمتع فى جندولها عندما قال:

بين كأس يشتهى الكرم خمره ... وحبيب يتمنى الكأس ثغره
التقت عينى به أول مرة ... فعرفت الحب من أول نظرة

وكاتدرائية «بازيلكا» الرومانية فى أكبر ميادين فينيسيا فى ميدان سان ماركو، تجمع سلالها العشاق ومحبى الرومانسية والخيال، كذلك مبانيها التى تعود إلى عصر النهضة، وقوارب فينيسيا المميزة أو الجندول الجميل الذى دفعت فيه مبلغا كبيرا فلما انتهت الرحلة وقفت أناجيه:

أين عشاقك سمار الليالى ... أين من واديك يا مهد الجمال
موكب الغيد وعيد الكرنفال ... وترى الجندول فى عرض القنال

صدر للمؤلف

- **الطفـــل العبقـــرى** – سلسلة ماذا تعلم عن للأطفال – دار المعارف .
- **بلاد الفن والجمال** – أدب رحلات – دار المعارف .
- **موسوعة الغناء المصرى**
  فى القرن العشرين – سلسلة تاريخ المصريين – الهيئة المصرية العامة للكتاب .
- **مستقبل الأغنية المصرية** – دراسة – دار الأحمدى للنشر .
- **آخر بلاد الدنيا** – أدب رحلات – مركز الحضارة العربى .
- **موسوعة الغناء المصرى فى القرن**
  التاسع عشر والعشرين – موسوعة – دار الأحمدى للنشر .

الفهرس

الموضـــوع	صفحة
مقدمة	٣
كندا	٥
● زيادة للهنود الحمر	٧
● موت الأفيال وصمت الأوامل	١٤
● الثعبان الخالد	٢١
● حيوانات لها واقر الاحترام	٢٨
● منورة بأهلنا	٣٦
● صورة حلوة.. وصورة مرة	٤٤
● من كل فيلم أغنية	٥١
● الحياة هنا.. لونها بمبى	٥٨
● مسلمون فى الشمال	٦٧
● شلال الغرام	٧٦
الولايات المتحدة الأمريكية	٨٥
● موكز للوارة العالمى	٨٧
● الجميلة والقأر	٩٥
● شكر الله سعيكم	١٠٣
● جاليرى سيد قراره	١١٢
● البيت الأبيض على أزرق	١٢١
النمســا	١٣١
● ليالى الأنس فى فيينا	١٣٣
● نسيمها من هوا الجنة	١٤٠
● نغم فى القلب له رنة	١٤٨
● سمعها الطير بكى وغنى	١٥٦
● م الألب للألب رسول	١٦٣
● وترى الجندول فى عرض القنال	١٧٠
صدر للمؤلف	١٧٩

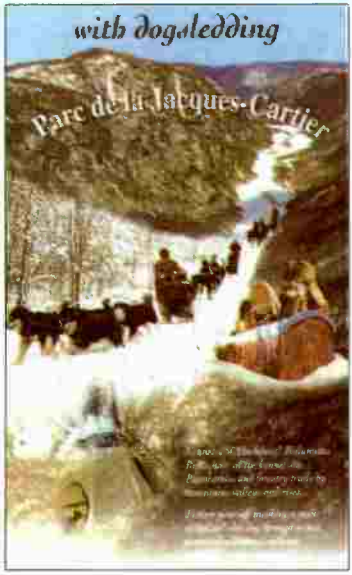

قيادة الكلاب ، هواية
ورياضة على مخرات
الجليد فى برارى
مقاطعة كيبك الكندية .

ليست لوحة من خيال
فنان إنما هكذا صورة
الشارع فى كيبك .

واحد من أفراد حرس قلعة كيبك ومعه الماعز النادر (ماسونرى ٨)
وخلفهما صورة للبلد القديمة .

(الباتيس) أو الماعز العسكرى فى حرس قلعة كيبك.. نوع نادر جدا.

مهرجان لملابس وإكسسوار الهنود الحمر فى كيبك .

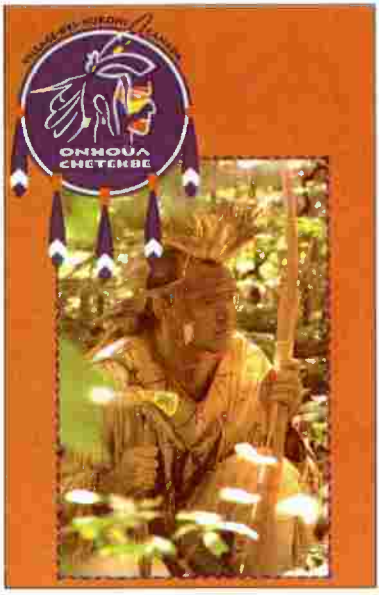

هندى أحمر أمام الكاميرا وفوقه شعار قرية الهيورنز فى مدينة كيبك الكندية .

وجوه هندية من أعمار مختلفة .

ملابس إحتفالية للهنود الحمر .

المنزل الكبير
يتسع لست
أسر هندية
وبجواره إختراع
هندى هو البابيش
الذى يستخدم
أثناء المشى
على الجليد .

وجهان هنديان . ◄ ▼

خيمة لتجفيف السمك .

رقصة الترحيب بضيوف الهنود .

رقصة هندية تظهر فيها الملابس الخاصة وآلتيّ الدف والشخاليل مع القوس المزخرف .

الموقع المعد للطبخ داخل المنزل الكبير للعائلة الهندية .

رقصة وسط الطبيعة .

فى حديقة كنيسة
نوتردام تمثال لأحد
القديسين .

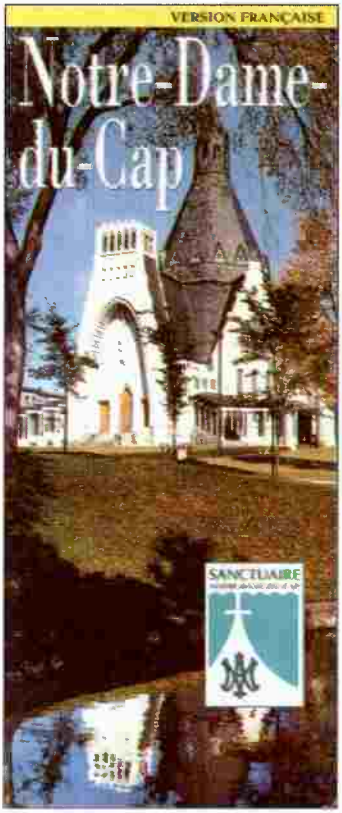

كنيسة نوتردام أقدم
كنيسة وأشهر كنائس
كيبك وكندا .

كوبرى هزاز بين جبلين فى كيبك .

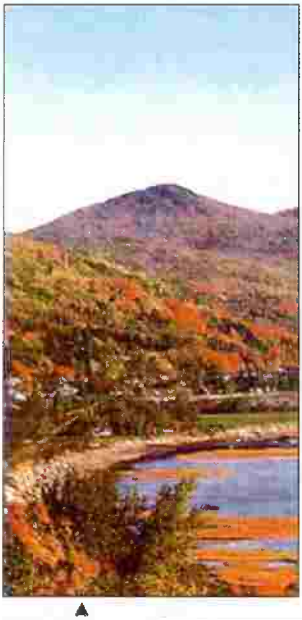

ماء وكل الألوان .

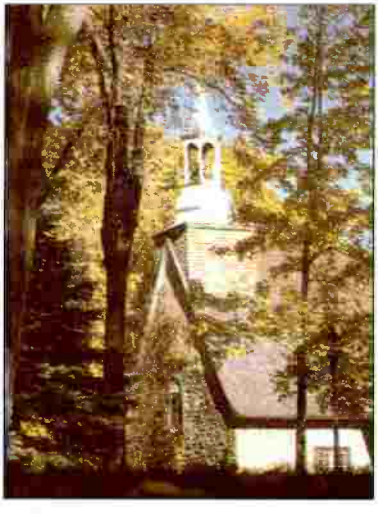

كنيسة فى كيبك بلد المائة كنيسة .

شلالات نياجرا ..
ليست أكبر شلالات العالم لكنها الأكثر إبهاراً .

شلالات نياجرا على شكل حدوة حصان يبلغ عرضها ٦٧٠ متراً .

شلالات نياجرا يرجع تاريخها إلى عصر الثلج –
أى منذ ١٢ ألف سنة .

ساعة الزهور أمام الشلالات
تغطى مساحة المينا فيها ١٩ ألف شجرة .

حيوانات متوحشة تنفرد بهـا براری مقاطعـة كـيبك الكندية .

معسكر للصيد فی براری كيبك .

الواجهة الشمالية للبيت الأبيض .

باب الواجهة الشمالية للبيت الأبيض .

أشجار نادرة .. ونافورات جميلة فى حديقة البيت الأبيض .

سرير الرئيس لنكولن .

لوحة فى متحف
واشنطن .

واحدة من المسرحيات
الخالدة على مسارح
برودواى .

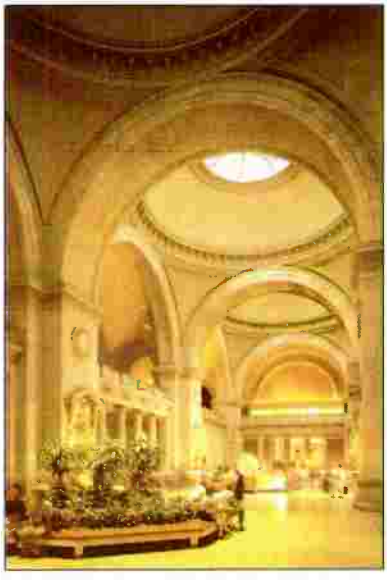

بهو أحد المتاحف
فى نيويورك .

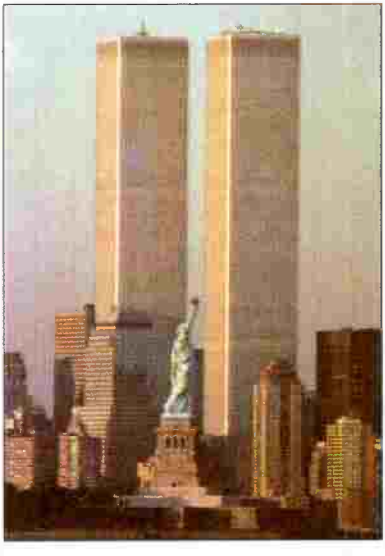

مركز التجارة العالمى
اقتلعته هجمات
سبتمبر من فوق
الأرض .

[illegible] سريعة جدا ، شكلها مبهر ، ومهمتها استعراض جزيرة مانهاتن من خلال نهر هدسون وتمثال الحرية الشهير .

تمثال للرئيس لنكولن فى واشنطن .

المسلة فى واشنطن
لكنها أصلا ..
فكرة مصرية جدا .

المسلة والمول القومى
من أبرز ملامح
العاصمة الأمريكية .

بانوراما .. لجزيرة مانهاتن على نهر هدسون .

آلاف الموتى الأمريكيين تكرمهم الدولة فى هذه المقابر القومية .

مبنى الكونجرس الأمريكى . وسهرات موسيقى الجاز ، وملاعب الجولف . وملاطفة حرس الشرف والسباحة والإبحار والأستاكوزا .. عناصر تعتمد عليها مدينة واشنطن لجذب السائحين إليها .

▲ جاليرى واشنطن .

▼ متحف مفتوح فى الشارع .

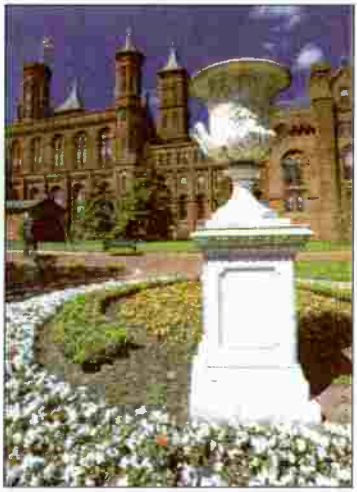

▼ حديقة من الخيال .

كل عناصر الجمال فى الطبيعة فى سالزبورج .

جزيرة فى نهر سالسا

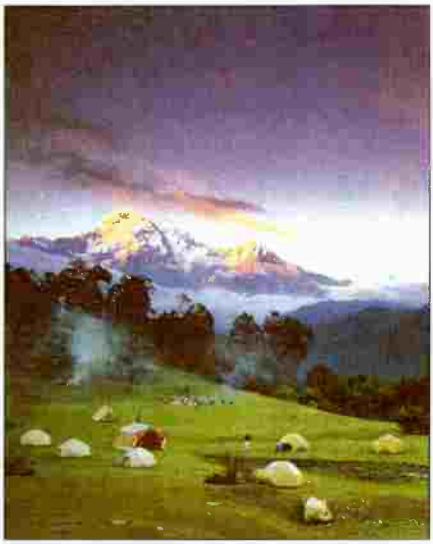

الغـروب فـوق جبـال
الألب له سحر خاص .

التزحلـق على
جبال الألب .

أشجار رشيقة .. رغم أنها موغلة فى القدم .

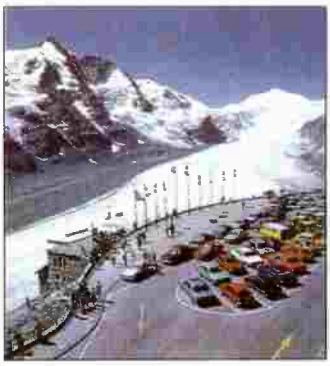

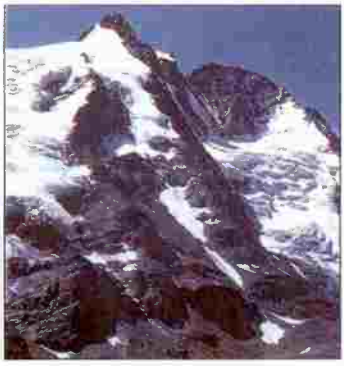

جبال الألب بيضاء فى الشتاء والصيف .

▲ قصر الميرابيل الشهير بقصر الحب عند الأوروبين . ▼

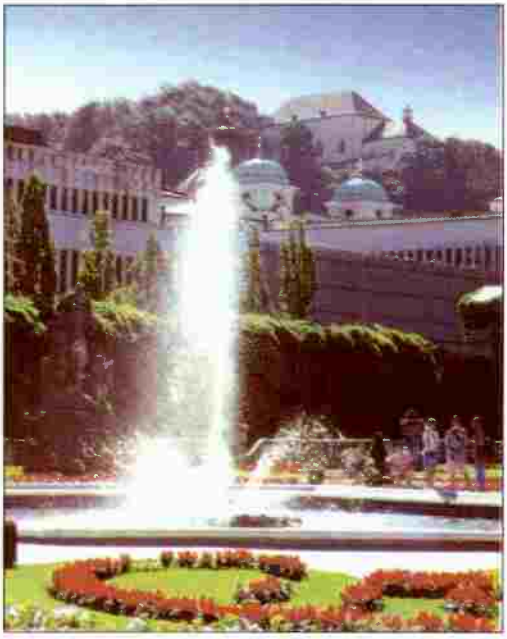

▲

قلعــة سـالزبورج .

▼

▼

نموذج لمنزل الفلاحين فى مناطق جبال الألب .

أنواع الحيوانات فى جبال الألب .

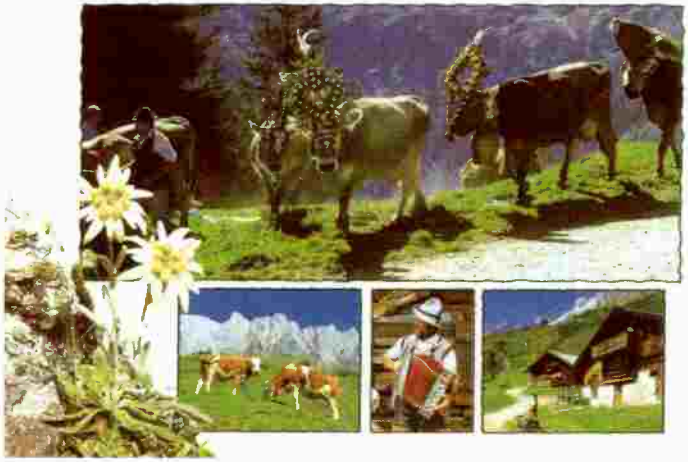

جبال الألب تصنع بينها مجارى مائية بديعة .

بحيرة صغيرة
بين جبلين فى
منطقة الألب .

عندما يذوب الجليد
يتساقط من فوق جبال
الألب ليصنع بحيرات
جميلة .

▲ شيكولاتة موتسارت من لم يحملها معه وهو خارج فلم يزر النمسا .

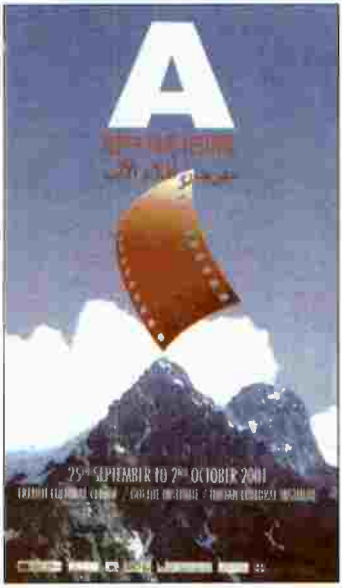

▶ شعار مهرجان أفلام الألب للدول الأوروبية التى تخترقها جبال الألب .

واجهة مبنى (الدووم) الشـــامخة المصـنوعة من المرمر .

ســـاحة (بادرمان) التـى تقـيم فيهـــا سالزبورج احتفالاتها الدينية .

▲ تقـــليد لتمـثال أبو الهول ضمن التمـــاثيل الـتى تزين الحـــوائط الخارجية لمبنى أوبرا فيينا .

► تمثال من المرمر . ما أكـثر تمـــاثيل النمســا .